المجلس العلمي
الرقم: 227/م.ع.ك.ع.إ/ 2023 مستغانم في: 2023/12/19

مستخرج من محضر المجلس العلمي

اجتمع المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية بجامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم في دورته العادية يوم الأربعاء 29 نوفمبر 2023، وكان من بين النقاط المدرجة ضمن جدول أعماله عرض ملف تعيين لجنة خبراء لتقييم السند البيداغوجي للأستاذة "**بوجحفة العمارية**" المعنون بـ "**مدخل إلى الأنثروبولوجيا**" والخاص بالمادة التي يشرف على تدريسها لمستوى السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية للسنة الجامعية 2023/2022.

لجنة الخبراء:

الخبير الأول: صحراوي بن حليمة (أستاذ التعليم العالي) جامعة مستغانم.

الخبير الثاني: قناو مصطفى (أستاذ التعليم العالي) جامعة مستغانم.

الخبير الثاني: مخلوف بشير (أستاذ التعليم العالي) جامعة مستغانم.

وبعد المداولات، وافق أعضاء المجلس بالإجماع على تعيين الخبراء المذكورين سالفا.

رئيس المجلس العلمي

أ.د. عمارة الناصر
رئيس المجلس العلمي

Scanné avec CamScanner

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم-

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم اجتماع

السند البيداغوجي في مقياس:

مدخل إلى الأنثروبولوجيا

- السنة الأولى جذع مشترك علوماجتماعية (وحدة تعليم أساسية – معامل2)

-إعداد الأستاذة الدكتورة: **بوجحفة عمارية**

السنة الجامعية: 2023-2024.

Scanné avec CamScanner

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم-

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم اجتماع

السند البيداغوجي في مقياس:

مدخل إلى الأنثروبولوجيا

- السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية (وحدة تعليم أساسية – معامل2)

-إعداد الأستاذة الدكتورة: بوجحفة عمارية

السنة الجامعية: 2023-2024

Scanné avec CamScanner

محتوى السند البيداغوجي

مقدمة:

المحاضرة الأولى

1- مفهوم علم الأنثروبولوجيا وبعض المفاهيم القريبة.....8

-(الأنثروبولوجيا -الإثنولوجيا –الإثنوغرافيا – الأركيولوجيا – اللغويات..)

2-علاقة علم الأنثروبولوجيا بالعلوم الاجتماعية (من حيث النشأة،الموضوع و المنهج).....12

-علاقة الأنثروبولوجيا بالبيولوجيا (علم الأحياء)

-علاقة الأنثروبولوجيا بالجيولوجيا والجغرافيا.

-علاقة الأثروبولوجيا بالفلسفة.

-علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع والتاريخ.

-علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس.

المحاضرة الثانية

3-التطبيقات الأنثروبولوجية قبل نشأة الأنثروبولوجيا.....18

- في الحضارات القديمة (الحضارات المائية).

-عند اليونان

-عند الرومان

-عند الصينيين.

Scanné avec CamScanner

-العصور الوسطى في أوروبا

-الحضارة العربية الإسلامية.

-أوروبا في عصر النهضة.

-خلال عصر الأنوار

المحاضرة الثالثة

4- نشأةالانثروبولوجيا.....27

5- أقسام الانثربولوجيا.....27

_الأنثروبولوجيا الطبيعية.

-الأنثروبولوجيا الاجتماعية (من علم الاجتماع إلى الأنثروبولوجيا)

-الأنثروبولوجيا الثقافية.

المحاضرة الرابعة

6- الأنثروبولوجيا التقليدية: الموضوع والهدف.....34

7- موضوع الأنثروبولوجيا.....35

- الثقافة

- البناء الاجتماعي.

- نظام القرابة

8 - الأنثروبولوجيا الحديثة: الموضوع والهدف.....44

المحاضرة الخامسة

Scanné avec CamScanner

9 -خصائص الأنثروبولوجيا وأهميتها في العصر الحالي.....45

10-التيارات والنظريات الأساسية في علم الأنثروبولوجيا.....46

- التيار التطوري
- التيار التاريخي
- التيار الانتشاري.
- التيار التناسقي التكاملي.
- التيار البنائي الوظيفي.
- تيار البنيوية الأنثروبولوجية.

- المحاضرة السادسة

11- الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل وبعد الاستقلال.....54

- علاقة الأنثروبولوجيا بالاستعمار
- الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال.
- الممارسة الأنثروبولوجية في الجزائر بعد الاستقلال.

المحاضرة السابعة

12- منهج البحث والتقنيات المستعملة في الأنثروبولوجيا.....60

- مناهج البحث الأنثروبولوجي.
- المنهج التاريخي
- المنهج المقارن .
- المنهج البنائي الوظيفي. (الوضيفية- البنيوية)
- الإثنية المنهجية

Scanné avec CamScanner

- المحاضرة الثامنة

13- تقنيات البحث الميداني.....65

- الملاحظة بالمشاركة.

- المقابلة

- سيرة الحياة.

- الاختبارات النفسية..

- المحاضرة التاسعة

14- بعض المضامين البحثية في الأنثروبولوجيا وعلاقتها بعلم الأثار.....69

15- تطوير الاهتمامات والتوجهات في الحقل الأنثروبولوجي.....82

المحاضرة العاشرة

16- الاتجاهات النظرية ودراسة الثقافات الإنسانية (المدارس والفروع والتخصصات والعلوم المساعدة لعلم الأثار) 90

17-مقومات التحليل الوظيفي في الانثروبولوجيا الاجتماعية عند راد كليف براون.....116

- خاتمة.....124

- قائمة المراجع.....125

Scanné avec CamScanner

مقدمة:

تحتل الأنثروبولوجيا كعلم حديث النشأة مكانة كبيرة بين العلوم اليوم، نظرا لما تتميز به من خصائص، ولما تتمتع به موضوعاتها من جاذبية وإغراء خاصة أن موضوع الدراسة الأساسي هو الإنسان في صوره الثقافية المختلفة وأنماطه التفاعلية المتعددة، فلقد كان الإنسان المختلف عن "إنسان المركز" (الإنسان الأوروبي) هو الذي هيأ الأساس الأول لعلم الإنسان، حيث كان هاجس تكوين معرفة بأولئك البرابرة والهمج والذين لم يعرفوا للحضارة سبيلا بعد، هو المسيطر على عقول الباحثين الأوائل في مجال الأنثروبولوجيا، هذا الذي يدل على أن الأنثروبولوجيا نشأت في سياق حملات الاستعمار للبلدان والشعوب الأخرى حيث مثلت بامتياز الدرع الأيديولوجي الذي رافق السيف والبندقية خلال حملات السيطرة على الشعوب والأوطان، لكن هذا لم يمنع الأنثروبولوجيا كعلم من التطور في جانبيها النظري والمنهجي خاصة مع زيادة الاهتمام بها من الناحية الأكاديمية فأصبحت لا تختلف عن باقي العلوم الأخرى الطبيعية منها والاجتماعية، بل وتتعداها خاصة عند التركيز على بعض المواضيع الجوهرية التي تتصل بالجانب الرمزي والأخلاقي[1].

وسنحاول من خلال هذه المطبوعة أن نلقي الضوء على بعض الجوانب الأساسية لهذا العلم بغية إيضاح ماهيته وموضوعه وطريقة عمله، هذا الذي سنتطرق إليه من خلال بعض العناصر التي بدت لنا جوهرية في هذا السبيل مثل توضيح المقصود بمفهوم الأنثروبولوجيا وبعض المفاهيم القريبة منه، وكذلك علاقة الأنثروبولوجيا بالعديد من العلوم الطبيعية منها والاجتماعية والتي ساهم بعضها بشكل واضح في إرساء دعائم هذا العلم ومنها على وجه الخصوص البيولوجيا من ناحية العلوم الطبيعية وعلم الاجتماع من ناحية العلوم الاجتماعية.

كما سنحاول أيضا استقصاء وتتبع الممارسة الأنثروبولوجية خلال مختلف العصور قبل النشأة العلمية وصولا إلى مرحلة النشأة خلال القرن التاسع عشر محاولين في السياق ذاته إلقاء الضوء على مختلف التيارات والنظريات والمناهج المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية بعد استوائها كعلم قائم بذاته وطبيعة الموضوعات التي تشكل جوهر الدراسة الأنثروبولوجية.

---

[1] أبو طالب محمد نجيب - **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لبنان 2002، ص48

Scanné avec CamScanner

1-مفهوم الأنثروبولوجيا وبعض المفاهيم القريبة (الإثنولوجيا – الإثنوغرافيا – الأركيولوجيا – اللغويات..)

يشير مصطلح أنثروبولوجيا (anthropologie)إلى علم الإنسان، فالمصطلح "منحوت من كلمتين (يونانيتين) هما anthropos (إنسان) و logos(علم)، وتعنيان معا (علم الإنسان) ، أي العلم الذي يدرس الإنسان، وكلمة إنسان هنا مطلقة لذلك كان هذا العلم شاملا في دراسته لمختلف الجوانب التي تشكل الإنسان، ولهذا نجد سليم شاكر يضيف إلى تعريف الإنثروبولوجيا من الناحية الاصطلاحية تعريفا اخر أكثر عمقا وأوسع شمولا فيقول عن الأنثروبولوجيا بأنها: " علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا وبقدر ما اختصر سليم شاكر تعريفه بقدر ما كان ملما بالجوانب التي يتناولها هذا العلم، فعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) يتناول بالدراسة الجانب التطبيقي والبيولوجي للإنسان باعتباره كائنا عضويا، فيصف تركيبته العضوية في الحاضر والغابر، ويقارن بين الخصائص الطبيعية لإنسان اليوم مع إنسان الحضارات القديمة[2].

والأمر نفسه ينطبق على الجانب الاجتماعي والحضاري، ففي الجانب الاجتماعي نجد الأنثروبولوجي يركز على البناء الاجتماعي محاولا فهم مختلف البنيات المكونة له والتي تتجسد في مختلف النظم والمؤسسات الاجتماعية كنظام الأسرة والاقتصاد والدين والقرابة والزواج...الخ، فهذه النظم المشكلة للبناء الاجتماعي هي الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا في جانبها الاجتماعي، أما الجانب الحضاري (الثقافي) فهو يشير إلى اتجاه الأنثروبولوجي إلى محاولة فهم ثقافة الشعوب بوصفها ومقارنة بعضها بالبعض الآخر.

ويقترب هذا التعريف من تعريف إدوارد تايلور الذي يرى أن الأنثروبولوجيا هي " الدراسة البيو ثقافية المقارنة للإنسان " هذا الذي يدل على أن الأنثروبولوجيا تجمع بين الدراسة البيولوجية والثقافية للإنسان، مع وجود علاقة بين هذين الجانبين حيث تتأثر الجوانب البيولوجية وتأثر في النواحي الثقافية من تعليم

---

[2] إيركسون توماس هايلاند ونيلسون فين سيفرت – **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية** – ترجمة لاهاي حسين – منشورات ضفاف، العراق – والاختلاف، الجزائر – ط 1 - 2013 ص55.

Scanné avec CamScanner

وتنشئة اجتماعية وطريقة تفكير ونمط سلوك ..الخ، وتعرف الأنثروبولوجيا أيضا بأنها " العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة محددة "[3]، بما يسمح لهذا الإنسان بالتفاعل معه أفراد المجتمع في ظل النظم المختلفة التي تسوده، وبما يسمح كذلك بأن يعمل على إنتاج ثقافة معينة والخضوع لها في نفس الوقت، هذه التي تتبدى في مختلف السلوكات والتصرفات والعادات والتقاليد ومختلف أنماط التفكير وأساليب الإنتاج.

والتي تشكل في الأخير موضوعات أساسية للدراسة في مجال علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ولتقريب النظر أكثر نورد ما قالته الأنثروبولوجية الأمريكية " مارغريت ميد" حول مجال عمل الأنثروبولوجي : " نحن نصف الخصائص الإنسانية، البيولوجية، والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنلوجيا، ونعنى أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته. "[(2)]، من خلال هذا الوصف الذي قدمته مارجريت ميد يبدو أن الأنثروبولوجيا هي أحد فروع الدراسة التي تهتم بوصف الإنسان في جانبه البيولوجي من جهة والاجتماعي والثقافي من جهة ثانية، مع اعتبار عمليات التفاعل التي تحدث بين هذين الجانبين، وكذلك عمليات التفاعل التي تحدث داخل أحد هذين الجانبين منفردا، وهذه العملية أيضا ووفقا للوصف الذي قدمته " ميد" لا تخلو من عملية مقارنة، فالوصف يتضمن المقارنة بين مختلف الجوانب الموصوفة (عادات، سلوكات، خصائص بيولوجية. .الخ)، وكل هذا يتم بأسلوب علمي حيث ثمة أدوات قياس علمية لتناول موضوعات هذا العلم[4].

ورغم وضوح مفهوم الأنثروبولوجيا إلا أن استخداماته تختلف من بلد لآخر ومن مدرسة لأخرى، ففي أمريكا نجد استخدامين أساسيين هما :

-الأنثروبولوجيا الجسمية (الفيزيقية): وتشير إلى دراسة الجانب العضوي والحيوي للإنسان[5].

---

[3] بريتشارد إيفانز – **الاناسة المجتمعية – دياثة البدائيين في نظريات الأناسين** – ترجمة حسن قبيسي – دار الحداثة – بيروت – لبنان – ط1- 1986ص 66.

[4] جعفر عبد الوهاب– **البنيوية في الأنثروبولو جيا وموقف سارتر منها**- دار المعارف – الاسكندرية – 1980ص98.

[5] الجوهري محمد وآخرون – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية – قضايا الموضوع والمنهج** – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 2004.،ص122-ص132

Scanné avec CamScanner

1- **الأنثروبولوجيا الثقافية :** وتشير إلى مجموعة التخصصات التي تدرس النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان[6].

ويدخل في نطاق الأنثروبولوجيا الثقافية مجموعة من الفروع الدراسية وهي:

1- **علم الآثار (archéologie) :** وهي تلك الدراسات التي تتعلق بحياة الإنسان القديم (حضارات ماقبل التاريخ).

2- **علم اللغويات (linguistiques) :** وتعنى بدراسة لغات الشعوب البدائية واللهجات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة.

3- **الإثنوغرافيا (ethnographie) :** ويشير إلى الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة.

4- **الإثنولوجيا (ethnologie) :** وتشير إلى الدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الإثنوغرافية، بغرض الوصول إلى تعميمات حول مختلف النظم وأصولها وتطورها وتنوعها. .الخ[7].

وفي مقابل مفهوم " أنثروبولوجيا ثقافية " الذي يتداوله الأمريكيون يستخدم الأنجليز مصطلحا آخر هو مصطلح " الأنثروبولوجيا الاجتماعية"، فمهمة الأنثروبولوجيا الاجتماعية مثلما يرى إيفانز بريتشارد " أنها تدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي و الإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع[8]، يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات " ، نفهم من هذا أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية كمفهوم أساسي في التعبير عن الجانب الاجتماعي والثقافي لدى الأنجليز لا يدرج علم اللغويات أو علم الآثار مثلما هي الحال في الأنثروبولوجيا الثقافية لدى الأمريكيين، ولكن التركيز منصب على ماهو اجتماعي،

---

6 حمدان محمد زياد: **الثقافات الاجتماعية المعاصرة** – دار التربية الحديثة – عمان ، الأردن،1989،ص88.

7 خروف حميد و جصاص الربيع – **علم اجتماع الثقافة** – منشورات جامعة منتوريقسنطينة – 2003،ص46.

8 الخوري فؤاد إسحاق - **مذاهب الأنثروبولوجيا وعبقرية ابن خلدون** - دار الساقي - بيروت - لبنان – 1992،ص 23.

Scanné avec CamScanner

فوحدة التحليل الأساسية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي المجتمع، أي العلاقات الاجتماعية التي تشكل مختلف النظم والأنساق الاجتماعية وليست الثقافة وأجزاؤها كما ينظر إلى ذلك الأمريكيون[9].

إن التركيز على قضية النظم الاجتماعية ينتج تخصصات أنثروبولوجية بعدد هذه النظم ذاتها فيكون لدينا مثلا

نظام ديني ___ أنثروبولوجيا دينية

نظام تربوي ___ أنثروبولوجيا تربوية

نظام سياسي ___ أنثروبولوجيا سياسية

نظام ثقافي ___ أنثروبولوجيا ثقافية

ويبدو أن الاختلاف في تحديد التسمية هو اختلاف شكلي، فكل من الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الأنثروبولوجيا الثقافية تؤولان إلى نفس المواضيع خلال عملية الدراسة، وقد كان الاختلاف مؤسسا مثلما يرى كلود ليفي ستروس على اعتبارات أكاديمية، مثلما هو الحال بالنسبة لمفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية الذي تأصل في أنجلترا لضرورة إحداث كرسي جديد تولاه جيمس فرايزر، كما أن الاختلاف بين ماهو " اجتماعي " وماهو "ثقافي " ليس كبيرا[10] ، حيث يؤدي ماهو اجتماعي إلى ماهو ثقافي والعكس، من منطلق أن ماهو اجتماعي يتصور موضوعه قائما في البنية الاجتماعية الكلية التي تتفكك إلى عناصر ثقافية مكونة لها، وماهو ثقافي ينطلق من هذه العناصر الثقافية (سلوكات – عادات – وسائل...الخ) وصولا إلى البنية الكلية للمجتمع.

وعلى هذا الأساس تتأسس كل من الأنثروبولوجيا الاجتماعية والانثروبولوجيا الثقافية وتحددان منطلقهما الأساسي، فالأنثروبولوجيا الاجتماعية تنطلق في العمل بدءا من الكل (البنية الاجتماعية) أو

---

[9] ليو فصيل – المنهج البيوغرافي استعمال السير الذاتية والحياتية في علم الاجتماع ضمن كتاب جماعي بعنوان **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية** – منشورات جامعة منتوري – قسنطينة – 1999 ،ص120.

[10] الساعاتي سامية حسن – **الثقافة والشخصية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت – لبنان – ط2- 1983،ص99.

توينبي ارنولد . **تاريخ البشرية** ، ترجمة زيادة نيكولا ، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت لبنان 1981، ص86

Scanné avec CamScanner

على الأقل إعطاء الأولوية للكل على الأجزاء مقابل الأنثروبولوجيا الثقافية التي تعمل عكس ذلك حيث تعطي الأولوية للأجزاء (العناصر المادية والمعنوية للثقافة كاللباس والسلوك والعادات والمنتجات...الخ) لتصل إلى فهم البنية الكلية للمجتمع.

وبالإضافة إلى هذين التسميتين يميل الفرنسيون أكثر إلى استخدام مصطلح "إثنولوجيا " وأحيانا " إثنوغرافيا" للتعبير عن الجانب الثقافي ويدرسونه تحت مظلة علم الاجتماع، كما تستخدم كلمة " انثروبولوجيا في ألمانيا للإشارة إلى " الدراسة الطبيعية للشعوب " وتستخدم بدلها كلمة " إثنولوجيا " لتشير إلى " علم الشعوب" أي إلى الجوانب الاجتماعية والثقافية في الإنسان، كما يشيع في معظم دول شرق أوروبا مصطلح " إثنوغرافيا " للدلالة على الجانب الاجتماعي والثقافي المتصل بالتنظيم الاجتماعي ومشكلة العرق والطبقات[11].

2-علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الاجتماعية(من حيث النشأة ،الموضوع، المنهج)

هناك علاقة وطيدة بين علم الإنسان وباقي العلوم الأخرى سواء تلك التي تنتمي إلى حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية أو التي تنتمي إلى حقل العلوم الطبيعية، فشمولية الدراسة في مجال الأنثروبولوجيا وتغطيتها للعديد من المجالات جعلها تتقاطع مع حقول معرفية أخرى تتقاسم معها المجالات ذاتها، أو تتبادل معها المعلومات والمعارف التي يوفرها فرع معرفي معين بمثابة قاعدة وأساس للانطلاق في الدراسة بالنسبة لفرع معرفي آخر، ذلك ما يبدو مثلا في اعتماد الباحث الأنثروبولوجي على ما يوفره عالم الآثار من معلومات على الشعوب الغابرة، ولبيان العلاقة بين الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم نحاول إيراد بعض الأمثلة على ذلك[12].

- علاقة الأنثروبولوجيا بالبيولوجيا (علم الأحياء)

---

[11] احمد الشوكي، علم الحفائر الأثرية، كلية الاداب جامعة عين الشمس القاهرة2003،ص50.

[12] نفس المرجع،ص 54

- توينبي أرنولد : تاريخ البشرية . ترجمة زيادة نيكولا . الأهلية للنشر والتوزيع بيروت لبنان 1981، ص90

Scanné avec CamScanner

هناك تداخل واضح بين الأنثروبولوجيا والبيولوجيا، ومرد هذا التداخل على وجه الخصوص إلى اعتماد الأنثروبولوجيا حين نشأتها على نظرية التطور البيولوجي التي تزعمها " تشارلز داروين"، والعمل على وصف الثقافة والمجتمع من منطلق هذه الخلفية التطورية.[13]

لقد كان هربرت سبنسر رائدا لهذا النزعة التطورية حيث ماثل بين تطور الكائن الحي وتطور المجتمع البشري، متأثرا بنزعة التطور في البيولوجيا، فنمو جسم الإنسان ينطلق من خلية ثم ينمو ليصبح جسما مكتملا مشكلا من العديد من الأعضاء التي تؤدي وظائف تحفظ توازن واستمرار الإنساني بما يشبه تماما نمو المجتمع البشري الذي يبدأ بأسرة ثم يتوسع إلى عشائر وقبائل تشكل مجتمعا كبيرا.

ويعزي البعض بداية الأنثروبولوجيا المتخصصة إلى هذا التماثل بين التطور البيولوجي والتطور الثقافي، وقد أدى الربط بين البيولوجيا والأنثروبولوجيا وخاصة في جانبها الفيزيقي إلى تسمية الأنثروبولوجيا البيولوجية ب" البيولوجيا الإنسانية "، بالإضافة إلى هذا نجد أن الرجوع إلى البيولوجيا بالنسبة للأنثروبولوجيين قد ساعد كثيرا في فهم الأسس البيولوجية للسلوك الثقافي للإنسان[14].

أما فيما يخص موضوع كل منهما فإنهما يشتركان في العمل على فهم التنوع والاختلاف، فإذا كان موضوع البيولوجيا يركز على محاولة فهم التنوع والاختلاف الجيني، فإن محاولة فهم الاختلاف الاجتماعي هو المقصود من الدراسات الأنثروبولوجية، كما يمكن لموضوع السلالة والعرق أن يوحد بين البيولوجيا والأنثروبولوجيا من خلال عملية التصنيف وتحديد الخصائص البيولوجية والثقافية لهذه السلالات والأعراق.[15]

- علاقة الأنثروبولوجيا بالجيولوجيا والجغرافيا :

---

[13] سرحان محمد المرسي: **في اجتماعيات التربية** – دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت ، لبنان – ط3 – 1981، ص144.

[14] السويدي محمد – **مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحاته** – المؤسسة الوطنية للكتابالجزائر – ط1 – 1991، ص63.

[15] الشماس عيسى– **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – 2004ص55ص57.

1. - روبرت سيلفر برق، ترجمة: محمد الشحات، **الآثار الغارقة**، بيروت، مؤسسة سجل العرب القاهرة 1965 ، ص68

Scanné avec CamScanner

تساعد الدراسات في مجال الجيولوجيا (علم طبقات الأرض) في تحديد الفترات الزمنية التي عاش فيها الإنسان، وذلك بتتبع البقايا العظمية لإنسان ما قبل التاريخ، التي يتم الحصول عليها في ثنايا القشرة الأرضية الرسوبية والمنضدة بعضها فوق بعض، وفقا لخاصية النشوء والتقادم حيث يكون أسفلها أقدمها وأعلاها أحدثها، كما يمكننا هذا أيضا من معرفة طبيعة الحيوانات التي كانت مرافقة لذلك الجنس البشري من خلال البقايا العظمية للحيوانات التي كانت ترافقه في نفس البيئة الجغرافية[16].

ويعمل الجيولوجي على تزويد الأركيولوجي (عالم الآثار) بعمر الأشياء التي يعثر عليها، فالجيولوجي يستطيع أن يحدد بعض البقايا الثقافية التي يعثر عليها في بعض الشقوق الأرضية أو في بعض الترسبات أو في بعض الطبقات الأرضية التي تنتمي إلى عصر جيولوجي معين، ويستفيد الأنثروبولوجي من المعلومات التي يقدمها الجيولوجي أو الأركيولوجي من خلال تكوين معرفة بالإنسان القديم ومقارنة خصائصه الفيزيقية والثقافية بالإنسان الحالي، وكذلك من خلال رصد مختلف المراحل التطورية للجنس البشري[17].

بالإضافة إلى استفادة الأنثروبولوجي من الجيولوجي تشكل المعطيات الجغرافية خلفية أساسية في تفسير الأنثروبولوجي للسلوك البشري ولعادات وطبائع الأفراد والجماعات، فالعوامل الجغرافية من تضاريس ومناخ وبيئة. .الخ لها تأثير واضح على سلوك البشر، لذلك نجد،الأحوال المعيشية والبنى الاجتماعية عند المجتمعات البشرية ليست متشابهة بسبب تباين الظروف الجغرافية التي توجد في تلك المجتمعات، فسكان المناطق الجبلية المرتفعة يكونون في مأمن عن الأخطار الخارجية بينما يتعرض سكان السهول دوما إلى غزوات واجتياحات. ،وفي المقابل يكون سكان المناطق الساحلية أكثر انفتاحا في علاقاتهم مع العالم الخارجي[18].

---

16 عمر مصطفى – إشكالية المنهج في الأنثروبولوجيا – ضمن كتاب جماعي بعنوان: **قضايا العلوم الانسانية، إشكالية المنهج** – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – دون سنة نشرص120ص125.

17 عيد بدر يحي مرسي– **أصول علم الإنسان – الأنثر وبولوجيا** –ج1- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – ط1 - 2007،ص84.

18 فهيم حسين – **قصة الأنثروبولوجيا**، فصول في تاريخ علم الإنسان – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت- عدد98 فبراير،1986،ص45.

2. - روبرت سيلفر برق، ترجمة: محمد الشحات، **الآثار الغارقة**، بيروت، مؤسسة سجل العرب القاهرة 1965، ص99

Scanné avec CamScanner

ويمكن الرجوع في هذا إلى نظرة ابن خلدون في ربطه بين البيئة والسلوك الإنساني حيث تؤدي البيئة والتضاريسإلى تشكيل نوع معين من السلوك.

-علاقة الأثروبولوجيا بالفلسفة:

إذا كانت الفلسفة كما يرى أرسطو هي " علم المبادئ والأسباب الأولى غايتها البحث عن الحقيقة برمتها وبأكثر أساليب الفكر نظاما وتماسكا " فإنها تشترك مع الانثروبولوجيا في عملية البحث عن الحقيقة، هذه التي تتمثل على وجه العموم في محاولة معرفة طبائع الأشياء وحقائق الموجودات والأسباب التي أدت إلى وجودها، كما تشترك الفلسفة مع الانثروبولوجيا فيما يتعلق بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة وتفكيره الدائم في الوجود وما وراء الوجود، وكذلك فإن اشتراك الفلسفة والأنثروبولوجيا قائم في البحث الدائم لمعرفة أصل الإنسان ونشأته وقضايا الحياة والموت والتدين. .الخ[19].

غير أن اشتراك الفلسفة مع الأنثروبولوجيا في عملية البحث عن حقيقة الأشياء لا ينفي اختلافهما في المنهج الذي يتبعه كلا الفرعين المعرفيين في الوصول إلى هذه الحقيقة، فالفلسفة ذات منهج عقلي ترمي إلى تحصيل معارف ومعلومات من خلال عملية التأمل وبالرجوع إلى العقل وحده، أما الانثروبولوجيا فتخالف ذلك تماما، إذ تؤسس أبحاثها على البحث الحقلي الميداني، لكن هذا لاينفي اعتماد الأنثروبولوجي على العقل خاصة في بناء مناهج وتقنيات البحث، وتحليل وربط المعطيات بعضها ببعض، والقيام باستنتاجات عقلية في الوقت المناسب[20].

-علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع :

هناك علاقة وطيدة بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع فكلاهما يتناول السلوك الإنساني بالدراسة، كما يركزان على عمليات التفاعل التي تحدث بين أفراد المجتمع واتخاذ العلاقات الاجتماعية التي تحدث داخل جماعة معينة محلا للملاحظة من قبل السوسيولوجي والأنثروبولوجي على سواء، وكذلك الاهتمام بالنظم الاجتماعية المختلفة مثل النظام الديني والنظام السياسي والنظام الاقتصادي. .الخ، هذا ما جعل

---

[19] كعباش رابح – **الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع** – مخبر علم اجتماع الاتصالجامعة قسنطينة – الجزائر – 2007 ، ص114

[20] . لبيب الطاهر – **سوسيولوجيا الثقافة** – دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية – سوريا، ط3.، دنس،ص 111،ص 126.

Scanné avec CamScanner

أحد رواد الانثروبولوجيا الاجتماعية وهو رادكليف براونيصرح بأنه يمكن اعتبار الأنثروبولوجيا الاجتماعية فرعا من فروع علم الاجتماع، بل وقد اعتبرها بمثابة علم الاجتماع المقارن[21].

غير أن الأنثروبولوجيا في عمومها باعتبارها تتناول الإنسان بالدراسة من كل جوانبه الطبيعية والاجتماعية والثقافية أشمل نوعا ما من علم الاجتماع الذي يركز اهتماسه على الجانب الاجتماعي والثقافي فقط، بينما تشكل مباحث الانثروبولوجيا الفيزيقية إضافة قيمة لمجال الأنثروبولوجيا على وجه العموم.

ويبدو الاختلاف قائما بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع في تركيز الانثروبولوجيا على دراسة المجتمعات التي تسمى " بدائية " وبالمقابل اهتمام علم الاجتماع بالظواهر والمشكلات الاجتماعية داخل المجتمعات المعقدة، هذا الذي جعل الانثروبولوجيا تتناول المجتمعات المدروسة في كليتها باعتبارها مجتمعات صغيرة الحجم، فتتناول مثلا نظامها الديني والقرابي والسياسي وتغوص في تحليل عاداتها وتقاليدها وأنماطها السلوكية وأشكالها التعبيرية. .الخ، وفي المقابل كان اتجاه علم الاجتماع نحو دراسة المجتمعات المعقدة كنوع من التناول الجزئي للمشكلات والظواهر مثل مشكلات الأسرة والطلاق والجريمة والبطالة. .الخ.

غير أننا اليوم بصدد نوع من التقارب بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع فقد ضاقت الحدود بينهما وتلاشت الفروق إلى حد لم فيه التفريق واردا في كثير من المواضع، فقد تقلص اهتمام الأنثروبولوجيين بتلك المشكلات التقليدية في الأنماط المجتمعية البدائية كدراسة نظم الزواج والشعائر الدينية المرتبطة بالطوطم، وأصبحت هناك دراسات انثروبولوجية حقلية لكثير من مشكلات المجتمع الصناعي كمشكلة الهجرة والصراع العرقي والتنمية الاجتماعية والانحراف والتربية. .الخ، وبالمقابل هناك مزيد من

---

21 لكلرك جيرار - **الأنثروبولوجيا والاستعمار** - ترجمة جورج كتورة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان - ط2-،1990، ص 160.

- ستراوس كلود ليفي : **الإناسة البنيانية** ، ترجمة قبسي حسن، نشر المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب 1995.، ص63

Scanné avec CamScanner

الاهتمام في الدراسات السوسيولوجية بالمجتمعات المحلية الصغيرة ونظمها الاجتماعية، ولعل مساهمات علم الاجتماع الريفي خير دليل على ذلك[22].

ومن الخصائص الأساسية للبحوث السوسيولوجية التقليدية اعتمادها على المعلومات الكميةعند عملية التحليل والمقارنة في مقابل البحوث الأنثروبولوجية التي تميزت باعتمادها على البحوث الكيفية التي تستند بوجه خاص إلى تطبيق تقنية الملاحظة بالمشاركة، غير أن الأمر أصبح مختلفا اليوم في ظل الاتجاه المتزايد للأنثروبولوجيين نحو استخدام الأساليب الإحصائية، هذا الذي يزيد من تقارب الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع إلى الحد الذي يجعل التفريق بين الدراسات في كلا الحقلين المعرفيين أمرا صعبا، بالإضافة إلى هذا تتميز الدراسات الأنثروبولوجية عن غيرها من الدراسات التي تتناول الظواهر والنظم الاجتماعية بأنها دراسات حقلية (ميدانية) حيث يقيم الباحث بين الجماعة التي يدرسها لفترة زمنية محددة حددها بعض العلماء بأنها لا تقل عن سنة حتى يستطيع أن يلاحظ عن قرب طريقة حياة هذه الجماعة، غير أن الدراسة الحقلية لا تقتصر على المجتمعات التقليدية ولكنها ضرورية أيضا عند دراسة الأنثروبولوجي للمجتمع الصناعي مثلا[23].

- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس :

يهتم علم النفس بدراسة الأفراد بوصفهم وحدات مستقلة قائمة بذاتها، وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض الجوانب مثل الدوافع والاتجاهات والذكاء والشخصية. .الخ، عكس الأنثروبولوجيا التي تهتم بالسلوك الجمعي ولا تركز اهتمامها على الأفراد.

وتعتبر الثقافة الموضوع الأساسي الذي تسعى الأنثروبولوجيا إلى فهمه، غير أن هذا الفهم غير متاح دائما من خلال تفسير الثقافة في ذاتها، لذلك نجد علماء الأنثروبولوجيا يرجعون إلى علم النفس من أجل فهم الظواهر الثقافية، ويرتبط هذا الاتجاه بالإثنولوجيا وهو اتجاه قديم ظهر في كتابات عدد كبير من

---

[22] لومبار جاك – **مدخل إلى الإثنولوجيا** – ترجمة حسن قبيسي – المركز الثقافي العربيالدار البيضاء – المغرب – ط1- ، 1997،ص 144.

[23] لوكا فيليب وفاتان جون كلود - **جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية** -ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال الجزائر، ص100.

- ستراوس كلود ليفي : **الإناسة البنيانية** ، ترجمة قبسي حسن، نشر المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب 1995.ص 100

Scanné avec CamScanner

علماء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ممن كانوا يلجؤون إلى الاستبطان لمعرفة أصل الثقافة البدائية ونشأتها، وخاصة ما يتعلق بالدين والشعودة والسحر والأساطير، وفي هذا السياق كان مالينوفسكي يرى أن الدين ينشأ في أوقات الأزمات التي تمتاز بشدة الانفعالات مثل حالات الوفاة، لذلك يصبح الدين بمثابة وسيلة للسيطرة على تلك الأزمات ،أي أثر العادات والتقاليد والقيم والمعايير وأساليب التنشئة في تشكيل شخصيات الأفراد، وبالمقابل أثر الشخصية في الثقافة من خلال الأدوار التي يؤديها القادة وأصحاب " الكاريزما" في توجيه الثقافة السائدة، وذلك بما يتمتع به هؤلاء القادة من أفكار وأيديولوجيا وقوة. .الخ.

وأخيرا فإن الأنثروبولوجيا تمتد لتربط خيوطها مع كثير من الفروع المعرفية، وهي ذات صلة وثيقة بكثير منها، فهي ترتبط بالتاريخ والسياسة والتربية والاقتصاد وغيرها، ولكننا اقتصرنا على بعض الفروع لبيان بعض أوجه الاعتماد المتبادل بين الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم وفروع المعرفة الأخرى[24].

المحاضرة الثانية

3-التطبيقات الأنثروبولوجية قبل نشأة الأنثروبولوجيا

يحاول المختصون في كل علم أن يجدوا تأسيسات تاريخية يصنفونها كبوادر أولى في سياق نشأة العلم الذي يصفونه ويمارسونه، وللانثروبولوجيا كعلم حديث النشأة بوادر غابرة في التاريخ، حيث نجد الكثير من صفات الأنثروبولوجيا الحديثة لدى مفكري وكتاب وشعراء الأزمنة القديمة، وفي مختلف المجتمعات والحضارات، فمن الحضارة المصرية إلى اليونانية إلى العصور الوسطى ثمة ممارسات أنثروبولوجية، وتنظيرات تتصل بالفكر الانثروبولوجي وا. ن لم تسم، ذلك أن الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته لم يتبلور إلا خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، ورغم هذا فإننا نجد في وصف ثقافات الشعوب وأنماط حياتها ومقارنة هذه الأنماط بعضها ببعض من خلال عمليات الغزو والرحلات المختلفة في مختلف العصور ما يمكن اعتباره بوادر لنشأة الأنثروبولوجيا بمعناها المعاصر، فقد سوغت عمليات

---

[24] لوكا فيليب وفاتان جون كلود - **جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية** -ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال الجزائر 139، ص42.

- عاصم محمد رزق، **علم الاثاربين النظرية والتطبيق**، مكتبة مدبولي 1996 .ص 89

Scanné avec CamScanner

الغزو والارتحال عمليات اتصال الشعوب بعضها ببعض بما جعل هذه الشعوب تشكل معرفة بالشعوب الأخرى في عاداتها وتقاليدها ولغتها ونظمها الاجتماعية. ..الخ[25]

-في الحضارات القديمة:

يرى "مودوي" أن أقدم رحلة على الإطلاق هي تلك التي قام بها المصريون عام 1493 قبل الميلاد نحو الجنوب عبر نهر النيل بأسطول مكون من خمسة مراكب وعلى رأس كل مركب واحد وثلاثون فردا، لقد كان الهدف من هذه الرحلة هو تسويق البضائع المتمثلة في البخور والعطور، لكن هذه الرحلة أفضت إلى اتصال المصريين بأقزام إفريقيا وا, قامة علاقات معهم، وقد بدا ذلك من خلال تصوير بعض الصفات الجسمية لهذه الشعوب في بعض الآثار والنقوش.[26]

-عند اليونان :

و إذا ذا رجعنا إلى الحضارة اليونانية القديمة (الإغريقية) فإنا نجد فيها بوادر واضحة مهدت لعلم الإنسان، فأفلاطون وأرسطو وغيرهما من الفلاسفة ذائعي الصيت قدموا إسهامات واضحة كانت قاعدة أساسية لكل العلوم الاجتماعية والإنسانية، ومنها الأنثروبولوجيا، وقد حاول أفلاطون(428-347 ق م) خاصة في كتابه "الجمهورية" أن يقدم صورة عن الكيفية التي " يجب" أن يكون عليها المجتمع، ذلك ما جعل أفكاره محل انتقاد كبير باعتبارها تأملات لما يجب أن يكون وليس تصويرا لما هو كائن، غير أن هذه الأفكار وا, ن كانت تعكس تصورات مثالية إلا أنها تستند إلى الواقع الذي كان يحياه أفلاطون، والأحداث والتغيرات السائدة في مجتمع أثينا، فالدافع لهذه التصورات هو " تلك الأزمات السياسية والحروب واضطراب أحوال المجتمع آنذاك بصفة عامة.

ويمكن الحديث أيضا عن حوارات أفلاطون أو عن مجادلات سقراط مع السفسطائيين لا باعتبارها مناظرات فكرية متعالية عن الواقع، بل باعتبارها في حد ذاتها وقائع دالة على الحياة اليومية في

---

[25] المرجع السابق، ص44.

[26] ليفي ستروس كلود – **الأ نثروبولوجيا البنيوية** – ترجمة مصطفى صالح – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق – ج1- 1977، ص 66.

- عاصم محمد رزق، **علم الاثاربين النظرية والتطبيق**، مكتبة مدبولي 1996 ، ص110

Scanné avec CamScanner

صورتها الثقافية داخل دولة المدينة، ولا يختلف أرسطو عن أفلاطون حيث قدم إسهامات واضحة في تصنيف ووصف الحكومات بما يمهد لدراسة النظام السياسي كأحد أهم النظم الاجتماعية في الدراسات الانثروبولوجية، إضافة إلى اتجاه أرسطو إلى تناول " الفكر التطوري للكائنات الحية، وذلك سنة خلال ملاحظاته وتأملاتهفي التركيبات البيولوجية وتطورها في الحيوان .

إن المهتمين بالأنثروبولوجيا وا. ن أعطوا أهمية معتبرة لأفلاطون وأرسطو وغيرهما من الفلاسفة اليونان، فإنهم يقدمون المؤرخ " هيرودوت " (484- 425 ق.م) ويعتبرونه أول باحث أنثروبولوجي في التاريخ[27].

لقد قدم هيرودوت وخاصة في كتابه" التواريخ" معلومات وصفية دقيقة عن العديد من الشعوب غير الأوروبية، من خلال وصف عاداتها وتقاليدها وملامحها الجسمية وأصولها السلالية. .الخ، كما عمل على وصف الحرب التي دارت بين الفرس والإغريق خلال القرن السادس قبل الميلاد، ومن خلال رحلاته المتعددة وقراءاته الغزيرة استطاع هيرودوت أن يقدم معلومات عن حوالي خمسين شعبا وبأسلوب يزاوج بين الوصف والمقارنة.

يسهب هيرودوت في وصف مصر وعاداتها وتقاليدها مقارنا إياها بغيرها من البلاد، ويرجع هذا الإسهاب في وصف البلاد المصرية وشعبها إلى الأهمية التي تكتسيها هذه المنطقة من حيث المناخ ووجودها على ضفاف النيل، ذلك ما جعل شعبها مختلفا عن باقي الشعوب الأخرى، ومن الأمثلة التي يضربها هيرودوت عن الإختلافات الحاصلة بين شعب مصر وغيره من الشعوب ما جاء في هذه الفقرة التي ضمها كتابه التواريخ ،وفي غير مصر يطلق كهنة الآلهة شعورهم، أما في مصر فيحلقونها، ويقضي العرف عند سائر الشعوب بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم أثناء الحداد، ولكن المصريين إذا نزلت بساحتهم محنة الموت، يطلقون شعر الرأس واللحية ، ويمضي هيرودوت في عملية المقارنة فيقول :" ويسكن سائر الناس في عزلة عن الحيوانات، أما المصريون فيسكنون مع حيواناتهم، ويعيش الآخرون من الناس على القمح والشعير، ولكنه عار عظيم على من يعيش عليها من المصريين، إذ هم يصنعون خبزهم من الذرة، وهم يعجنون العجين بأقدامهم، فأما الطين فبالأيدي، وبها أيضا يرفعون

---

[27] كويت 24محجوب محمد عبده – **الاتجاة السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع** – وكالة المطبوعات – – دون سنة نشرص66-ص69.

Scanné avec CamScanner

الروث، وأعضاء التناسل بتركها عامة الناسعلى طبيعتها أما المصريون ومن أخذ عنهم فيمارسون الختان[28].

كما عمد هيرودوت إلى وصف عادات أهل ليبيا وطريقة الأكل لديهم، كما تطرق أيضا إلى كيفية انتقال هذه العناصر والسمات الثقافية وتداولها بين الشعوب، وفي هذا الشأن يذكر هيرودوت أن بعض عناصر الثقافة المتداولة لدى الليبيين أخذها عنهم الإغريق خاصة ما يتعلق باللباس والغناء وقيادة العربات، وفي هذا يقول هيرودوت:" يبدو أن ثوب ودرع وتماثيل أثينا نقلها الإغريق عن النساء الليبيات وأكثر من هذا فإن الغناء الطقسي فيما أظن ظهر أولا في ليبيا، فإن نساء تلك البلاد يغلبن غناء شجيا، ومن الليبيين تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة. "

إن الذي يعطي قيمة لعمل هيرودوت هو اقتراب طريقته المستندة إلى الوصف والمقارنة من الطريقة المتعارف عليها اليوم لدى الأنثروبولوجيين، والتي تستند إلى رصد الخصائص المختلفة للشعوب والأعراق بملاحظتها ومقارنة بعضها بالبعض الآخر في سياق حقلي واقعي، ذلك الذي يقترب مما يعرف لدى الأنثروبولوجيين اليوم بالمنهج الإثنوغرافي الذي يسعى إلى تصوير حياة الشعوب وخصائصها الاجتماعية والثقافية من خلال الاتصال المباشر للباحث بها و أخذ المادة من حقل الدراسة بشكل مباشر[29].

- عند الرومان:

وبالانتقال إلى الفترة الرومانية نجد أنه من النادر العثور على إسهامات أنثروبولوجية، ولعل من الإسهامات القليلة التي تم تداولها كبوادر لعلم الإنسان أشعار " لوكروتيوس" التي ضمت العديد من الأفكار الاجتماعية مثل فكرة التطور والتقدم والعقد الاجتماعي ونشأة اللغة ونظامي الملكية والحكومة، إلى جانب مناقشة بعض القضايا الأخرى مثل العادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى. .الخ، واستطاع لوكروتيوس وفق نظرة تطورية أن يتصور تطور البشرية عبر مسارات متتالية من العصر

---

[28] مصباح عامر – علم الأنثروبولوجيا – دار الكتاب الحديث – القاهرة –2010، ص 65.

[29] مونس حسين – الحضارة – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت – عدد1- 1978 ، ص73.

Scanné avec CamScanner

الحجري إلى العصر البرونزي إلى الحديدي، مما جعل البعض يماثل نظرتهالتطورية بما جاء به لويس مورغان أحد أعلام الأنثروبولوجيا في العصر الحديث.[30]

-عند الصينيين:

وكذلك لا نجد لدى الصينيين إسهامات واضحة يمكن اعتبارها بوادر للانثروبولوجيا ماعدا اهتمام فلاسفتهم بالأخلاق والشؤون العامة للمجتمع، فقد كان الصينيون يشعرون بنوع من " الاكتفاء الثقافي" حيث نجد نوعا من التعالي على الثقافات الأخرى، ورغم ذلك لم يخل تاريخهم من بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية والتي كانت تتسم بالازدراء والاحتقار. لقد اتسمت نظرة الصينيين بالتعالي والعنصرية شأنهم شأن بقية مراكز الحضارة عبر التاريخ كاليونان والرومان وغيرهم، وهذه النظرة يؤكدها حسين مؤنس في كتابه " الحضارة" حين يقول :" فاليونان كانوا يرون أنفسهم أفضل الأمم وأنقاها وأشرفها وبقية الخلق همج، والرومان جعلوا الروماني فوق غيره بحكم القانون، حتى صاروا إذا أرادوا أن يرفعوا من قدر إنسان أو جنس أصدرت لهم الدولة قرارا بمنحه الجنسية الرومانية، أما أهل الصين فكانوا يؤمنون أنهم أفضل الخلق، وأنه لا وجود لأي حضارة أو قضية خارج جنسهم، بل كانوا يرون أنهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء، وليؤكد ملوكهم هذا المعنى أقاموا سور الصين العظيم حتى لا تتدنس أرضهم بأقدام أقوام آخرين.[31]

- العصور الوسطى في أوروبا

وخلال العصور الوسطى ظهرت بعض المحاولات في أوروبا صنفت على أنها أعمال ذات صلة بالأنثروبولوجيا، ومن هذه الأعمال محاولة الأسقف " إسيدور" isidore الذي أعد موسوعة عن المعرفة خلال القرن السابع الميلادي أشار فيها إلى بعض عادات وتقاليد الشعوب المجاورة، حيث قرر إسيدور وبنظرة عنصرية أن قرب الشعوب أو بعدها من أوروبا هو الذي يحدد درجة تقدمها، كما وصف الذين يعيشون في أماكن نائية أنهم أناس غريبو الخلقة، كما ظهرت أيضاخلال القرن الثالث

---

[30] النجيحي محمد لبيب: **الأسس الاجتماعية للتربية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ط4 –1971، ص100.

[31] وصفي عاطف – **الأنثروبولوجيا الثقافية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشربيروت – لبنان – 1971، ص108-110.

Scanné avec CamScanner

عشر موسوعة أخرى للفرنسي " باتولو ماكوس" والتي لم تختلف عن سابقتهافي اعتمادها على الخيال في وصف الشعوب.

- الحضارة العربية الإسلامية:

أما عند العرب خلال هذه الفترة (القرون الوسطى) فكان السائد في البداية هو الاتجاه نحو ما سمي بالفتوحات الإسلامية، بما اقتضى محاولة معرفة البلاد المفتوحة وفهم عادات أهلها، فبرزت العديد من المعاجم الجغرافية مثل " معجم البلدان" لياقوت الحموي "، وكذلك بعض الموسوعات الكبيرة مثل " مسالك الأمصار " لابن فضل الله العمري، و "نهاية الأرب في فنون العرب" للنويري.

ومن الآثار التي تدل على الممارسة الأنثروبولوجية نجد كتاب البيروني " تحرير ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة "، لقد حاول البيروني أن يصف المجتمع الهندي من ناحية نظمه الدينية والاجتماعية والثقافية، كما عمل على مقارنة تلك النظم بمثيلاتها عند اليونان والعرب والفرس، كما تطرق أيضا لدور الدين في التوجيه الاجتماعي داخل المجتمع الهندي وا لى طبيعة اللغة ومستوياتها. ..الخ، كما نجد أيضا كتابات الرحالة ابن بطوطة في وصف البلاد التي ارتحل إليها، فخلال القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) أفاض ابن بطوطة في وصف عادات وتقاليد أهل هذه البلاد ومختلف أنماط حياتهم، ومما ذكره ابن بطوطة عن عادات أهل السودان مايلي :" فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولاغاصب.[32]

---

[32] .وصفي عاطف – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشربيروت - لبنان – دون سنة نشر،ص 168.

Scanné avec CamScanner

كما كتب ابن بطوطة عن إقامته بجزر " ذيبة المهل" –جزر الملديف- واصفا أهل هذه الجزربأنهم " أهل صلاح وديانة، وإيمان صحيح صادق، أكلهم حلال ودعاؤهم مجاب، وهم أهل نظافةوتنزه عن الأقذار وأكثرهم يغتسل مرتين في اليوم تنظفا لشدة الحر بها وكثرة العرق..."

وفي وصفه نساء هذه الجزر يكتب ابن بطوطة: ونساؤها لايغطين رؤوسهن ولا سلطانتهم تغطي رأسها، ويمشطن شعورهن ويجمعنها إلى جهة واحدة، ولا يلبس أكثرهن إلا فوطة واحدة تسترها من السرة إلى أسفل، وسائر أجسادهن مكشوفة.

إن الذي يعطي قيمة أنثروبولوجية لهذا الوصف الذي قدمه ابن بطوطة هو إقامته بهذه الجزر لمدة عام ونصف وتزوجه هناك واكتسابه للغة أهل المنطقة، وهي نفسها الشروط التي حددت للأنثروبولوجي بعد استواء الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته لممارسة البحث الأنثروبولوجي.

ورغم قيمة ما قدمه البيروني وابن بطوطة وغيرهما إلا أن أشهر الأعمال في تلك الفترة – وربما في غيرها- هي ماقدمه العلامة عبد الرحمان ابن خلدون في كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" الذي كان عملا تأصيليا لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وهذا بشهادة كثير من الكتاب الغربيين، وفي هذا الصدد نذكر ما أورده " هايلاند إيركسون" و " سيفرت نيلسون " في تاريخ النظرية الأنثروبولوجية عن صلة ابن خلدون بالأنثروبولوجيا، يقول الباحثان :" لقد طور واحدة من أولى النظريات الاجتماعية غير الدينية، وسبق أفكار إيميل دوركايم حول التضامن الاجتماعي، مما يعتبر حجر الزاوية بالنسبة لعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا، وقد شدد ابن خلدون على أهمية القرابة والدين في خلق وا. دامة معنى التضامن والالتزام المتبادل فيما بين أعضاء الجماعة، وانسجم هذا فيما بعد مع ماجاء به دوركايم وعلماء الأنثروبولوجيا الأوائل ممن استخدموا نظرياته.[33]

لقد كانت مقدمة ابن خلدون الشهيرة عملا أصيلا في وصف السلوكات الإنسانية والظواهر الاجتماعية في اتصالها بالبيئة الجغرافية، يبدو ذلك خاصة في ربط ابن خلدون بين طبيعة البيئة

---

[33] محمد، **العلوم الإنسانية والأيديولوجيا**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 2011، ص92.

Scanné avec CamScanner

وطبيعة سلوك الإنسان، والتفاوت في ذلك بين سلوك أهل البدو وسلوك أهل الحضر. كما تحدثابن خلدون في المقدمة عن فكرة التطور من خلال وصفه للكيفية التي تنشأ وتتطور خلالهاالمجتمعات والدول، هذه الأخيرة التي لها أعمار طبيعية كأعمار الأشخاص تبدأ بالولادة ثم النمو ثم الأفول والانهيار.[34]

- أوروبا في عصر النهضة:

وخلال عصر النهضة الأوروبية برزت بعض المحطات التي اعتبرت تأسيسا للأنثروبولوجيا أبرزها اكتشاف القارة الأمريكية خلال الرحلة التي قام بها " كريستوف كولومبوس" (1492- 1502) حيث عاين وشاهد طريقة عيش السكان الأصليين في العالم الجديد، من خلال احتكاكه المباشر بالسكان ومعايشته المباشرة لمختلف أنماط حياتهم، ذلك الذي جعل وصفه يتسم بشيء من الموضوعية. وقد جاء في وصف كولومبوس لسكان جزر الكاريبيان في المحيط الأطلسي مايلي :" إن أهل تلك الجزر كلهم عراة تماما، الرجال منهم والنساء كما ولدتهم أمهاتهم، ومع ذلك فثمة بعض النساء اللواتي يغطين عورتهن بورق الشجر، أو قطعة من نسيج الألياف التي تصنع لهذا الغرض. "[33]، كما وصف سكان أمريكا الأصليين بمايلي : إنهم يتمتعون بحسن الخلق والخلق وقوة البنية الجسدية، كما أنهم يشعرون بحرية التصرف فيما يمتلكون إلى حد أنهم لا يترددون في إعطاء من يقصدهم أيا من ممتلكاتهم، علاوة على أنهم يتقاسمون ماعندهم برضى وسرور.[35]

كما تبلور في الفترة ذاتها الاتجاه الإنساني العلمي الذي يقوم على المنهج العلمي التجريبي منه والعقلي الرياضي، على يد كل من فرانسيس بيكون (1561- 1626) ورونيه ديكارت (1596- 1650) بحيث أصبح ينظر للإنسان باعتباره ظاهرة طبيعية يمكن دراسته باستخدام المنهج العلمي من أجل الكشف عن القوانين التي تحكم تطور الإنسان والمجتمع بما مهد لبلورة قاعدة نظرية ومنهجية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، وأسهم بشكل واضح في تشكيل الأرضية العلميةللأنثروبولوجيا كعلم خلال القرن التاسع عشر.

---

[34]شاكر سليم – قاموس الانثروبولوجيا (انجليزي ، عربي) – جامعة الكويت- ط1-1981 ،ص65.

Scanné avec CamScanner

وفيما يتعلق بالدراسات الإثنوغرافية والأنثروبولوجية خلال هذه الفترة فكانت ثمة بعض المحاولات لعل أبرزها محاولة الرحالة الإسباني " جوزيه اكوستا" خلال القرن السادس عشر الذي عمل على تصنيف الشعوب وتطورها الحضاري بناء على معرفة القراءة والكتابة، فصنف أوروبا في الدرجة الأولى ثم الصين وبعدها المكسيك، ووفقا لهذا المعيار أيضا تم تصنيف شعوب أخرى في أسفل السلم، بالإضافة إلى تقديمه افتراضا حول أصل السكان الأصليين في العالم الجديد الذين نزحوا حسبه من آسيا إلى أمريكا.

وبالإضافة إلى جوزيه اكوستا يمكن الحديث أيضا عن محاولات الفرنسي " ميشيل دي مونتاني" (1532- 1592) الذي أجرى مقابلات مع السكان الأصليين الذين أحضرهم بعض المكتشفين إلى أوروبا واستخدمهم كإخباريين، بغرض تحصيل معلومات عن عادات وتقاليد موطنهم الأصلي، ولعل من أعمال دي مونتاني الشهيرة مقاله عن " أكلة لحوم البشر.[36]

- خلال عصر الأنوار:

ويمكن الحديث أيضا خلال عصر التنوير عن بعض المفكرين الذين ساهموا في إثراء الفكر الأنثروبولوجي والتمهيد بذلك للأنثروبولوجيا حين ظهورها خلال القرن 19م، ونذكر من هؤلاء الفرنسي " إلبارون دي مونتيسكيو" صاحب " روح القوانين"، لقد أولى مونتيسكيو اهتماما واضحا بعلاقة البيئة الاجتماعية والثقافية بالقانون وأثر كل منهما في الآخر، وترجع أهمية كتاب روح القوانين للفكر الأنثروبولوجي لما ورد فيه من إبراز لفكرة الترابط الوظيفي بين القوانين والعادات والتقاليد والبيئة، أي كافة النواحي الطبيعية والثقافية، وقد سادت فيما بعد فكرة الترابط أو التساند الوظيفي بين هذه النظم الاجتماعية خاصة في أعمال الأنثروبولوجيين الأنجليز في أوائل القرنالعشرين.

ويمكن الرجوع أيضا في الفترة ذاتها إلى فلسفة " جان جاك روسو" صاحب كتاب " العقد الاجتماعي" والذي أثر في كثير من أعلام الأنثروبولوجيا فيما بعد، فقد اهتم روسو في العقد الاجتماعي بالقيم والأخلاق ومختلف جوانب الحياة في المجتمع الفرنسي وفي غيره من المجتمعات، ولعل مما استحسنه

---

[36] مها كيال – "السيرة الحياتية منهجية وتقنيات بحثية "- مجلة الثقافة الشعبية - الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر – البحرين –عدد29- ربيع 2015، ص22.

Scanné avec CamScanner

البعض في كتابات روسو " أنه استطاع أن يخلص نفسه من التحيز الثقافي لمجتمعه، وأن ينقد قيمه، بينما يشيد ويستحسن طرق حياة الشعوب في المجتمعات الأخرى".[37]

المحاضرة الثالثة

4-نشأة الانثروبولوجيا:

تأسست الانثروبولوجيا كعلم قائم بذاته خلال القرن 19م، ففي مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية كانت إسهامات " تشارلز داروين "(1809- 1882) ومحاولات ألفريد والاس (1823- 1913) بمثابة أولى المحاولات العلمية المنهجية للعمليات البيولوجية، وكيفيات التطور الإنساني،

(3) أما فيما يخص الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية فقد ظهرت خلال القرن 19م أيضا، من خلال الاهتمام بالثقافة، فارتبطت نشأتها بظهور أول تعريف أنثروبولوجي للثقافة على يد الأنجليزي " إدوارد تايلور" في كتابه " الثقافة البدائية " عام 1871.[38]

ومن رواد الأنثروبولوجيا الأوائل :" مورغان " و" باندلير" و"كاشينج" و" دروسي" و" فليتش" في أمريكا، و"مين" و"ماكلينان" و" بتريفر" و " لبوك " و " روبرتسون سميث " و" فريزر " في أنجلترا، و" باخوفين " في ألمانيا، و" فوستيل دي كولوني " في فرنسا..، وقد جاءت أراء ونظريات هؤلاء الرواد في سياق المدرسة التطورية التي تعنى بتفسير نشأة وتطور المجتمع والثقافة منذ القدم وذلك تأثرا بنظرية داروين في التطور العضوي، أي أن المجتمعات وثقافتها تتطور بنفس الطريقةالتي تتطور بها الكائنات الحية.[39]

5-أقسام الأنثروبولوجيا:

---

[37] سميث شارلوت سيمور – **موسوعة علم الإنسان : المصطلحات والمفاهيم الأساسية** – ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري- المركز القومي للترجمة – القاهرة – ط2- 2009، ص69.

[38] André Akoun et Pierre Ansart: **Dictionnaire de sociologie**, Coll ; Dixionnaire de Robert, édition Seuil, Paris-France, 1989.p112.

[39] . Charles-Henri Favrod: L'Anthropologie, **Encyclopedie du monde actuel (E.D.M.A)**, coll, lior de poche, Paris-France, 1977p107.

Scanné avec CamScanner

تتعدد تقسيمات الانثروبولوجيا وفقا للمكان والزمان، وتبعا للتأثر بنظريات وسياقات معينة مثلما هو عليه الحال عند استخدام تسمية الانثروبولوجيا الاجتماعية بدلا من الاثروبولوجيا الثقافية في بريطانيا نتيجة للتأثر بالنظرية الوظيفية لدى بعض الأنثروبولوجيين مثل " رادكليف براون"، مقابل استخدام مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية للدلالة على ذالك الفرع من الأنثروبولوجيا الذي يعنى بالجانب الاجتماعي والثقافي لدى الإنسان في أمريكا، وفي مقابل هذا يحظى جانب آخر له صلة بالعلوم الطبيعية باهتمام الأنثروبولوجيين وهو الجانب الطبيعي والبيولوجي للإنسان، لترسخ الأنثروبولوجيا أهمية هذا القسم الذي أصبح يدعى بالأنثروبولوجيا الطبيعية (الفيزيقية)، وبهذا وعلى وجه الإجمال يصبح للأنثروبولوجيا ثلاثة أقسام رئيسية هي الأنثروبولوجيا الطبيعية، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا الثقافية.

-الأنثروبولوجيا الطبيعية :

تعرف الأنثروبولوجيا بأنها " العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية، والتغيرات التي تطرأ عليها بفعل المورثات، كما يبحث في السلالات الإنسانية من حيث الأنواع البشرية وخصائصها " ، ويرتبط هذا القسم بشكل واضح بالعلوم الطبيعية وخاصة علم التشريح anatomie وعلم وظائف الأعضاء physiologie وعلم الحياة biologie، وتعتبر نظرية التطور إحدى أهم النظريات التي يتم الاستناد إليها في هذا القسم، وهي نظرية تشير إلى أن الأجناس والأنواع تتطور وتتغير أجسامها ووظائف أعضائها خلال تكاثرها على مر العصور، ووفقا لهذه النظرية فإن جسم " الإنسان العاقل" قد تطور من أجناس بشرية أخرى، لذلك يمكن إيجاد شواهد دالة على هذا التشابه من الناحية التشريحية بين المخلوقات الحية اليوم مثل التشابه بين جسم الأرنب وجسم القرد وجسم الإنسان العاقل، وقد خضع موضوع "التطور البيولوجي" للبحث العلمي بداية من القرن التاسع عشر على يد تشارلز داروين، إن معرفة الكيفية التي تطور بها الإنسان من أسلافه، وعمليات التغير المستمرة على جسم الإنسان هي المبرر للغوص في خصائص هذا الإنسان وتتبعه إلى عصور ما قبل التاريخ البعيدة لمعرفة إن كانت هناك أنواع أخرى غير الإنسان العاقل، هذا الذي يتيح لنا معرفة كيف أصبح الإنسان تدريجيا مختلفا عن سائر الحيوانات، وكيف اكتسب السمات الجسمية التي تميزه الى اليوم اذ يركز المتخصص في الأنثروبولوجيا الطبيعية اهتمامه على أشكال الحياة الأقرب إلى الإنسان (الرئيسات)، ولعل من شأن المقارنة بين الحياة القائمة والأشكال الحفرية أن تلقي الضوء على كثير من السمات البيولوجية ودلالاتها، ونجد اليوم اهتماما خاصا بدراسة السلوك البشري وسلوك أشباه البشر، بما يمكن من إلقاء الضوء على كثير من جوانب الحياة الاجتماعية وعلى ظهور الثقافة ،ولعل من المباحث الهامة

Scanné avec CamScanner

والحديثة نسبيا في الانثروبولوجيا البيولوجية هو دراسة العمليات التي تحدث بموجبها التغيرات البيولوجية في الإنسان، ولقد كانت إحدى المراحل المبكرة في دراسة هذا الموضوع هو تناول نمو الإنسان منذ الولادة إلى البلوغ، وتأثير البيئة على هذا النمو، أما المرحلة الأحدث فإنها تركز على دراسة الوراثة البشرية، أي ميكانيزمات الوراثة وأساليب تعديل الصفات الوراثية، وأساليب تكيف الكائنات البشرية بيولوجيا مع الظروف الجديدة. ... الخ.

ويمكن تقسيم الانثروبولوجيا الطبيعية حسب طبيعة الدراسات إلى فرعين رئيسيين هما:

أ - **فرع الحفريات البشرية** : ويتناول بالدراسة الجنس البشري منذ نشأته مرورا بمختلف مراحله التطورية من خلال ما تدل عليه الحفريات والآثار، والهدف من هذا الفرع هو محاولة معرفة حياة الإنسان البائد من خلال البقايا والآثار التي تدل عليه.

ب- فرع الأجناس البشرية: ويتناول الصفات العضوية للإنسان البدائي (المنقرض والإنسان لحالي، ومقارنة الملامح والسمات العضوية لكليهما.لقد اهتم المختصون بالأجناس البشرية بتصنيف هذه الأجناس[40]، غير أن عملية التصنيف بقيت والى وقت قريب قائمة على معيار العرق والاحتكام إلى بعض الخصائص السطحية مثل لون الجلد وشكل الشعر. .الخ، لكن الاهتمام بدأ يتحول إلى فروق أكثر دقة مثل أنواع الدم والأجهزة العضلية.الخ، ثم إلى الفروق المتعلقة بالنضج الجنسي والمناعة ضد الأمراض. .الخ.

- الأنثروبولوجيا الاجتماعية (من علم الاجتماع إلى الأنثروبولوجيا) :

في كتابه " الأنثروبولوجيا الاجتماعية" وبعد تعديده للفروع العديدة التي تتشكل منها الأنثروبولوجيا يحاول " إيفانز بريتشارد" إبراز تميز الانثروبولوجيا الاجتماعية عن باقي الفروع الأخرى[41]

---

40. Gerald Gaillard: **Dictionnaire des éthnologues et d'anthropologues**, ed Armand, ParisFrance, 1997p116

3. - عاصم محمد رزق، **علم الاثاريين النظرية والتطبيق**، مكتبة مدبولي 1996.ص 112

41. Woolgar, Steve: **Technology, Social Science Encyclopedia**, 2nd ed, Routledge, London, 1996.p108.

Scanné avec CamScanner

للانثروبولوجيا عامة من خلال إبراز مهمتها الأساسية، فمهمة الأنثروبولوجيا الاجتماعية حسب[42] بريتشارد أنها " تحلل السلوك تبعا لأشكاله المؤسساتية كالعائلة ونظام القرابة، والتنظيم السياسي، وصيغ التدابير القانونية، والعبادات الدينية. ..الخ، فضلا عن العلاقات القائمة بين مختلف المؤسسات، إنها تدرس هذه الأشكال وعلاقاتها سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية التي يتوفر عنها ما يكفي من المعلومات الجديرة بالثقة، بما يساعد على القيام بهذه الدراسات ".

ويحيل المفهوم الكلاسيكي للانثروبولوجيا على أنها دراسة للبناء الاجتماعي لأية جماعة أو مجتمع بما يضمه هذا البناء من علاقات اجتماعية وجماعات وتنظيمات، هذا الذي يجعل من الأنثروبولوجيا الاجتماعية قريبة جدا من علم الاجتماع، على الرغم من أن علم الاجتماع أقدم ظهورا من الأنثروبولوجيا الاجتماعية حيث ظهر على يد أوغست كونت وهربرت سبنسر بينما أسس للأنثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا مالينوفسكي ورادكليف براون بعد أن استفادا من تراث علماء الاجتماع الأوائل، إن التقارب الكبير بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية هوالذي جعل رادكليف براون يصرح خلال أحد خطاباته بالمعهد الأنثروبولوجي الملكي أنه" علىاستعداد تام لتسمية هذه المادة بعلم الاجتماع المقارن إذا أراد أي فرد ذلك.

تنظر المدرسة الأنجليزية للأنثروبولوجيا الاجتماعية كفرع مستقل للأنثروبولوجيا عامة شأنها شأن الأنثروبولوجيا الثقافية، على عكس المدرسة الأمريكية التي تنظر للأنثروبولوجيا الاجتماعية باعتبارها فرعا من فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، وتهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بتحليل البناء الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية وخاصة المجتمعات شبه البدائية التي يبدو التكامل والوضوح سمة واضحة في بنائها الاجتماعي.[43]

وتستند الأنثروبولوجيا الاجتماعية " النظرية الوظيفية " التي يتزعمها رادكليف براون والتي تتأسس على أن النظم الاجتماعية في مجتمع ما هي نسيج متشابك من العناصر التي يؤثر بعضها في البعض الأخر بما يشكل وحدة كلية تسمح للمجتمع بالبقاء والاستمرار، وما هو جدير بالذكر أن الأنثروبولوجيا

---

42 . Abraham franis: **Modern Sociological theory**, Oxford University Press-Delhi .p112

43 . Jaques Dumont et Jean- Baptiste Beranian: **L'anthropologie, les dictionnaires Marabout université**, Paris-France, 1972.p66-p68

Scanné avec CamScanner

الاجتماعية لا تهتم كثيرا بتاريخ النظم ولكن بتحديد وظيفة النظام الاجتماعي الواحد في البناء الاجتماعي الكلي.

ويعتبر مفهوم البناء الاجتماعي مفهوما محوريا في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والنظرية البنائية الوظيفية، وبتحليل هذا البناء يمكن الوقوف على بعض المفاهيم الأخرى التي تحظى بمكانة كبيرة ضمن هذا السياق، ومن هذه المفاهيم مفهوم : المكانة والدور، " فالمكانة هي مركز الشخص بالنسبة لمركز غيره ممن له معهم علاقات اجتماعية مثل : الإبن، الناظر، الزوج...، كذلك يهتم الباحث الأنثروبولوجي بالطريقة التي يحدد بها المجتمع الأدوار التي يقوم بها الناس. .وتتضمن الأدوار مستويات القيادة والأمر والجماعة والطاعة والتعاون. .الخ ، إن الانطلاق من فكرة " البناء الاجتماعي" في التحليل تحيل إلى أمر أساسي وهو أنالأنثروبولوجي الاجتماعي ينطلق في عملية التحليل من المجتمع وليس الثقافة، وا. ن كان تحليلهيشمل عادات وتقاليد الجماعات وأنماط معيشتها، غير أن تمثل وتصور عملية الانطلاق في التحليل من المجتمع كوحدة يحيل بالضرورة إلى الاهتمام والتركيز على قضية العلاقات القائمة بين أفراد الجماعة وكيفية انتظامها في جوانب حياتها المختلفة.[44]

44- Pierre Tripier et al: **Dictionnaire des sciences humaines-Anthropologie/Sociologie**. Nathan, 1994, p56..

4. - كوبان جان : **المسح الإتنولوجي الميداني**، ترجمة: لاوند جهيدة . معهد الدراسات الاستراتيجية بيروت لبنان 2007.ص 66.

Scanné avec CamScanner

- الأنثروبولوجيا الثقافية:

يهتم هذا الفرع من الأنثروبولوجيا بدراسة الثقافة لدى مجتمع أو جماعة معينة، والثقافة في أبسط معانيها تشير إلى مختلف أنماط العيش والتفكير والسلوك والإبداع داخل أية جماعة، سواء كانت هذه الجماعة تنتمي إلى مجتمع بدائي أو إلى مجتمع متقدم، وبواسطة الثقافة يستطيع أفراد المجتمع أن يشبعوا حاجاتهم ومتطلباتهم الحياتية، لذلك كانت الثقافة ذات أهمية لعالم الأنثروبولوجيا، بل إنها تمثل الموضوع الجوهري في علم الإنسان على وجه العموم.

والواضح أن دراسة ثقافة أي جماعة أو مجتمع تتم على مستويين اثنين : المستوى الأول هو ما يعرف بالدراسة المتزامنة والتي تشير إلى دراسة المجتمعات وثقافتها في فترة معينة من تاريخها، أما المستوى الثاني فهو ما يعرف بالدراسة التتبعية والتي تشير إلى دراسة المجتمعات وثقافتها خلال عملية تطورها بتعقب مختلف مراحلها عبر التاريخ.[45]

إن أهمية الثقافة من جهة وتعدد جوانبها من جهة ثانية جعل الأنثروبولوجيا الثقافية تنفتح على بعض الفروع الدراسية الجزئية مثل الإثنوغرافيا والإثنولوجيا وعلم الآثار واللغويات، وهذه الفروع تصنف باعتبارها تابعة للأنثروبولوجيا الثقافية، على الرغم من أننا نجد نوعا من التقارب بين هذه الفروع جميعا، إذ أنها تعنى جميعها بالمجتمعات والشعوب لكن كل واحدة تتناولها من جانب معين، فنجد مثلا الإثنولوجيا تتناول بالدراسة ثقافة المجتمع من لغة وعادات ودين ونظام سياسي واقتصادي...الخ بشيء من التعمق إجراء المقارنات بين الأجزاء والجماعات المختلفة مقابل الإثنوغرافيا التي تكتفي بوصف ثقافة هذه الجماعات، " وقد اتفق معظم العلماء على إطلاق اصطلاح إثنوغرافيا على الدراسة التي تقتصر على وصف ثقافة مجتمع معين، ويطلق اصطلاحإثنولوجيا على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة، فالإثنولوجي يهتم بالمقارنة بين الثقافاتالتي يصفها الإثنوغرافي، ويستهدف الإثنولوجي الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية ولظاهرة التغير الثقافي وآثار الاتصال بين الثقافات المختلفة وإلى تصنيف الثقافات إلى مجموعات وأشكال على أساس مقاييس معينة.[46]

وبالإضافة إلى الإثنوغرافيا والإثنولوجيا يعتمد الباحث في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية على علم الآثار (الأركيولوجيا) بهدف الوصول إلى حقائق عن ثقافات الشعوب الغابرة التي لا تتوفر عنها معلومات

---

[45] . Beattie J: **Other Cultures (Aims, methods and Achivements in social Anthropology)**, Afree Press Paperbach- macmillan Publishing co inc, U S A, 1968 p69

[46] . Claude Rivière: **Introduction à L'anthropologie**, hachette, Paris-France, P89

Scanné avec CamScanner

مسجلة عن طريق الكتابة، ويعتمد علم الآثار على بقايا الإنسان القديم والتي تدل على ثقافته وتكشف عن الكثير من المعلومات المتصلة بثقافة هذا الإنسان واتصالاته المختلفة، ووسائل عيشه التي تدل على مستوى العيش والتفكير لديه، ومن هذه الآثار يمكن الحديث عن الآثار الصخرية والأواني الفخارية والأقواس والسهام القديمة. ..الخ، هذه التي تدل على عناصر الثقافة المادية والتي تسلم أيضا إلى مستوى وطريقة تفكير الإنسان القديم، ومن أجل هذا اعتبر علم الآثار أحد الفروع المهمة في الأنثروبولوجيا الثقافية.[47]

ولا يقل علم اللغويات عن علم الآثار باعتباره أحد الفروع المهمة كذلك للأنثروبولوجيا الثقافية، ذلك أن اللغة هي إحدى العناصر الأساسية للثقافة، وهي محل اهتمام الانثروبولوجين في محاولة وصفهم للشعوب والجماعات الإنسانية، وينقسم علم اللغويات إلى قسمين أساسيين هما : (2)

- علم اللغويات الوصفي : ويهتم بتحليل اللغات في زمن محدد، وبدراسة النظم الصوتية وقواعد اللغة والمفردات، كما يهتم باللغة الكلامية وخاصة اللغات الكلامية التي لم تكتب بعد، وتتركز معظم دراسات هذا العلم في المجتمعات البدائية التي لا تعرف القراءة والكتابة ولكنها ذات لغة كلامية.

- علم أصول اللغات : ويهدف هذا القسم إلى تحديد أصول اللغات الإنسانية، فالباحث في مجال أصول اللغات يهتم بالجانب التاريخي والمقارن حيث يتناول العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها عن طريق وثائق مكتوبة، أما اللغات القديمة التي لاتتوفر على وثائق مكتوبة فيستعمل الباحث وسائل وتقنيات خاصة لبحث تاريخ تلك اللغات.

وأخيرا ومن خلال هذا العرض لأهم فروع وأقسام الأنثروبولوجيا تجدر الإشارة إلى أن هذهالأقسام ليست منعزلة تماما إذ أن التداخل حاصل بينها، فالأنثروبولوجيا الطبيعية يمكن النظر إليها باعتبارها فرعا مكملا للفروع الأخرى، وهي تمثل الشق المادي في دراسة الإنسان الذي لا يمكن فصله بأية حال من الأحوال عن شقه الروحي الذي تعنى به الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، أما عن التفريق بين ما هو ثقافي وما هو اجتماعي في مجال الأنثروبولوجيا فله سياقه التاريخي والأكاديمي، لكن التفريق المطلق غير وارد تماما إذ أن ما هو اجتماعي يسلم إلى ما هو ثقافي والعكس، فالفرق فقط مثلما يرى كلود ليفي ستروس " في أسلوب الدراسة وليس في موضوع الدراسة، لأن الموضوع واحد تقريبا فلا يوجد مجتمع إنساني من دون ثقافة، ولا يمكن أن توجد ثقافة حية من دون مجتمع ، غير أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية اختارت أن تنطلق من البناء الاجتماعي وما يضمه من علاقات ونظم

---

[47] Alain Bajomée: **Elements d'anthropologie culturelle**, les éditions de Cétal, 2012. P45

Scanné avec CamScanner

اجتماعية أي مما هو كلي وصولا إلى العناصر البسيطة التي ليست سوى عناصر الثقافة المختلفة (لغة – عادات – سلوكات...الخ) بينما اختارت الأنثروبولوجيا الثقافية الانطلاق من هذه العناصر البسيطة وصولا إلى فهم بناء المجتمع في صورته الكلية [48]

المحاضرة الرابعة

6-الأنثروبولوجيا التقليدية: الموضوع والهدف

تتخذ الأنثروبولوجيا من الإنسان بكل نواحيه موضوعا أساسيا لها، فإذا كان جسم الإنسان في ذاته ونشأته وتطوره هو موضوع الأنثروبولوجيا الفيزيقية، فإن علاقات الإنسان وسلوكه ومختلف التفاعلات التي تنتج عن اتصاله بالآخرين هي موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وقد عمد الأنثروبولوجيون الأوائل إلى دراسة المجتمعات البدائية البسيطة في تركيبتها وثقافتها[49].

فكان المجتمع البسيط والذي وصف بالبدائي هو الموضوع الأساسي الذي وجهت إليه انظار الأنثروبولوجيين قبل أن يتجهوا لدراسة المجتمعات صغيرة الحجم وإن كان ذلك من حيث الزمان والمكان ضمن المجتمعات المعاصرة كان هناك نوع من التردد من أجل أن تعلن الأنثروبولوجيا أن موضوعها هو المجتمع بأنماطه المختلفة وفي مختلف الأنماط الاجتماعية والثقافية، وفي هذا الصدد نذكر أن رادكليف براون مثلا حدد مجال دراسة الأنثروبولوجيا في مقال له عن المنهج عام 1923 بالمجتمعات البدائية لكنه عاد سنة 1944 ليجعل من جميع أنماط المجتمع الإنساني مجالا للدراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وهو نفس الموقف الذي أبداه إيفانز بريتشارد الذي رأى بأن الأنثروبولوجيا هي" فرع من الدراسات الاجتماعية يتخذ من المجتمعات الإنسانية جميعا (بأنماطها المختلفة) موضوعا له، وإن كان يركز على دراسة النمط التقليدي منها والواضح أن الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية إجمالا يتراوح بشكل خاص بين الاتجاه لدراسة البناء الاجتماعي ومختلف النظم والأنساق الفرعية التي تكونه ووظيفة هذه النظم، إضافة إلى دراسة الثقافة بمكوناتها المختلفة، وفيما يلي نحاول أن نورد بعض هذه الموضوعات .

---

[48] Austin: **Anthropologie linguistique**, Flammarion, 1976,p99.

[49] George Balandier: **Political Anthropology**, Peuguin Books, Middlesex- England, 1970,p122.

Scanné avec CamScanner

- موضوع الانثربولوجيا

- **مفهوم الثقافة** : تشير الثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي إلى كل ما ينتجه الإنسان خلال تفاعله مع الأخرين، كما أنها تعبر عن أسلوب الحياة لدى جماعة معينة، وقد عرفت الثقافة من منظورات عديدة تبعا لبؤرة الاهتمام لدى العلماء، وكذلك طبيعة المنظور الذي ينتهجه هؤلاء العلماء، وبناء على هذا " قام عالما الأنثروبولوجيا الأمريكيان " كروبر وكلوكهون " بإحصاء مائة وستين تعريفا للثقافة، تم استقاؤها من عدد كبير من العلماء والباحثين فيالثقافة، ويمكن تصنيف هذه التعريفات في عدد من الفئات هي : الوصفية والتاريخياتو المعيارية والنفسية والبنائية والوراثية " ولعل أشهر تعريف قدم للثقافة ذلك الذي أورده إدوارد تايلور في كتابه " الثقافة البدائية" عام1871 وهو كما يلي: " الثقافة هي هذه المجموعة المعقدة التي تشمل المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع ما ".

ويرى رالف لينتون أن الثقافة في أي مجتمع " هي طريقة حياة أعضائه، أو بالأحرى مجموعة الأفكار والعادات التي يتعلمونها ويشتركون فيها وينقلونها من جيل لأخر" ، أما مالينوفسكي فالثقافة عنده هي " مجموعة الوسائل التي يصبح الإنسان بفضلها في موقف أقصى لمجابهة المشاكل القائمة المعينة، والتي يقابلها الإنسان في بيئته خلال إشباعه لحاجاته.[50]

- **عناصر الثقافة ومكوناتها:**

تقسم الثقافة عادة بحسب العناصر المكونة لها إلى ثقافة مادية وثقافة لا مادية (روحية معنوية) فتشمل عناصر الثقافة اللامادية الفنون والأفكار والمعتقدات والعادات كما تشمل عناصر الثقافة المادية الآلات والمعدات والوسائل والتكنولوجيا. .الخ، وهذا التقسيم هو الذي يفصل بين لفظي " ثقافة " و" حضارة" حينما انتقل مفهوم الثقافة من فرنسا - إذ كان مصطلح الثقافة حينها يشير إلى الجانبين الروحي والمادي معا – إلى ألمانيا حيث عملت المدرسة الألمانية بزعامة " ألفريد فيبر"على التفريق بين " الثقافة " و"الحضارة" فاتصلت الثقافة بالجانب الروحي بينما أصبح لفظ" حضارة " دالا على

---

50. Francois Laplantine: **L'anthropologie**, édition Seghers, Petite bibliothèque payot, ParisFrance, 2007,p121.

Scanné avec CamScanner

الجوانب المادية للثقافة فقط ،فالحضارة من منظور ألفريد فيبر هي ذلك " المجهود الإنساني في سبيل السيطرة على عالمالطبيعة بوسائل عقلية في ميدان العلوم والحياة العملية والتخطيط ".[51]

ويلجأ علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع إلى تحليل الثقافة من خلال تقسيمها غلى عناصر عديدة، وذلك بغية تسهيل مهمة البحث وفهم البنية الكلية للثقافة لدى جماعة معينة أو عدة جماعات من خلال تناولها في عناصرها الجزئية، لذلك نجد أن الثقافة تشكل البناء الكلي الذي ينقسم إلى عدة بنيات أدناها السمة الثقافية التي لا يمكن أن تنقسم إلى أصغر من ذلك، ويتم تقسيم الثقافة من الناحية الأنثروبولوجية وفقا للنموذج التالي :[52]

- **الثقافة** : مجموع النظم والعادات والتقاليد التي تسود المجتمع.
- **النظام :** عدد من النماذج والمركبات الثقافية المترابطة فيما بينها.
- **النموذج :** عدد من السمات الثقافية المترابطة فيما بينها.
- **السمة :** أصغر وحدة لا تنقسم إلى أقل منها.

ويقوم بعض الباحثين بتقسيم الثقافة وفقا لتجانس عناصرها، ومدى سعة أو ضيق ذلك التجانس، فتقسم عناصر الثقافة بناء على هذا الأساس إلى:

عموميات :وتشير إلى مجموع " الأفكار و العادات و التقاليد و الاستجابات العاطفية المختلفة و أنماط السلوك و طرق التفكير التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع، أي أن العموميات هي تلك العناص ر الثقافى ة الت ي تس ود المجتم ع الكبير بجماعاته وطبقاته و فئاته المختلفة.

خصوصيات : وتشير إلى " مجموع العادات و القيم و الأنظمة و الأساليب التي يختص بها حزب أو فئة أو طبقة محددة في المجتمع، و تعمل على ممارستها بشكل واضح دون غيرها من الطبقات الاجتماعية الأخرى..."

---

[51] - François Loplantine: **L' anthropologie**, éditions payot et Rivages, Paris- France, 1995 ,p104.

[52] -Ralph Linton: **Le fondement culturel de la personnalité**, Bordas, Paris- France,1973,p135.

Scanné avec CamScanner

متغيرات (بدائل) : وتشير إلى تلك العناصر الثقافية التي تدخل على الثقافة بعمومياتهاو خصوصياتها فتحدث فيها تغييرا، ويكون ذلك من خلال عمليات الاتصال الثقافي المختلفة، غير أن الواضح هو أن المتغيرات المتصلة بالجوانب المادية أسهل في استقرارها عند اتصالها بالعموميات أو الخصوصيات نتيجة تقبليا من قبل الأفراد، على عكس المتغيرات المعنوية التي يصعب استقرارها وتقبلها نتيجة اتصالها بالعادات والقيم والقناعات والاتجاهات الفكرية لدى الأفراد.

- وظيفة الثقافة :

يرى مالينوفسكي أن الوظيفة الأساسية للثقافة هي إشباع الحاجات الأساسية للأفراد، فالطبيعة البيولوجية للإنسان تستدعي حاجات كثيرة متصلة بالأكل والشرب واللباس والجنس. .الخ، لذلك كانت الثقافة هي الكيفية التي تشبع بها هذه الطبيعة، فالجوع يقابله أكل والبرد يقابله لباس. .الخ، وا. ذا استطاع الإنسان تلبية حاجاته الأساسية من خلال الثقافة، يمكن له ومن خلال الثقافة دائما أن يلبي حاجاته الثانوية (المشتقة) والتي تترقب بدورها الإشباع ثقافيا، فحسب مالينوفسكي لا يجد الإنسان إلا أن يجد حلا للمشاكل التي تنبع من حاجاته الأساسية كالحاجة إلى الطعام والحاجة إلى الإشباع الجنسي وا. لى الوقاية من الخطر وذلك من خلال إيجاد بيئة ثانوية أو صناعية، وهذه البيئة ليست سوى الثقافة.[53]

وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى أن النظم الاجتماعية المختلفة كالنظام الاقتصادي و الديني والسياسي. .الخ إنما وجدت من أجل إشباع الحاجات التي يتطلبها كل نظام من هذه النظم، فنظام الاقتصاد مثلا جاء لتلبية حاجات الإنتاج والاستهلاك. .والنظام الديني جاء لتلبية الحاجات المتصلة بالجانب الروحي وهكذا. ويميز البعض بين وظيفتين هامتين للثقافة هما :

الوظيفة الاجتماعية : وتتضمن تجميع الناس في عالم عقلي أخلاقي مشترك يشعرهم بانتمائهمالواحد فتضمن من خلال هذا استمرار ووحدة المجتمع، كما تزود الأفراد بالأهداف والآمال وتقدملهم تفسيرات مسلم بها عن المحيط والعالم.

---

[53] . وصفي عاطف غيث، مرجع سبق ذكره، ص 200-ص2002.

Scanné avec CamScanner

الوظيفة النفسية : وترمي إلى قولبة شخصيات الأفراد من خلال تزويدهم بأنماط السلوك وتمكينهم من طرق التعبير عن العواطف والانفعالات.[54]

خصائص الثقافة :

هناك العديد من الخصائص التي تميز الثقافة لعل أبرزها أنها منتوج إنساني تتبلور من خلال عمليات التفاعل التي تحدث بين الأفراد، كما أن هذه الثقافة لا تبقى حبيسة البيئة التي أنتجتها بل يمكن لها أن تنتقل إلى بيئات أخرى، كما يمكن لها أن تتطور وتتغير في بيئتها الأصلية أو في البيئات التي تنتقل أو تهاجر إليها..الخ، ويمكن لنا هنا أن نورد بعض خصائص الثقافة التي هي محل اتفاق بين الباحثين، وهذه الخصائص هي : (1)

- الثقافة اجتماعية ومكتسبة : تكتسب من المجتمع عن طريق التعلم.
- الثقافة إنسانية : أنها من سمات الإنسان دون غيره من الكائنات.
- الثقافة انتقالية : تنتقل بين المجتمعات والأجيال.
- الثقافة أفكار وأعمال : فهناك جانب روحي فكري للثقافة وجانب مادي ملموس.

الثقافة متنوعة الشكل مختلفة المضمون : فلكل مجتمع لغة ودين وعادات لكن هناك اختلاف في طبيعة هذه العناصر بين المجتمعات ،الثقافة متغيرة : فالثقافة تتغير من خلال عمليات الاتصال والاحتكاك الثقافي وعمليات التعديل والتطور.

2 - البناء الاجتماعي:

يعتبر مفهوم البناء الاجتماعي من المفاهيم الأساسية المستخدمة في الدراسات الانثروبولوجية، بل ويعتبر البناء الاجتماعي بمثابة الموضوع الأساسي خاصة في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولعل

---

54 . Kilani Mondher: **Introduction à L'Anthropologie**, édition Payot Lusanne, Paris-France, 1996p122.

Scanné avec CamScanner

الفكرة الأولى التي يمكن تكوينها عن البناء الاجتماعي هو ذلك الإطار الذي يجمع كافة النظم ومختلف أشكال العلاقات الإنسانية في شكل منظم ومرتب [55]

وحسب موسوعة علم الانسان فإن مفهوم البناء الاجتماعي " يستخدم عموما للإشارة الى ملامح التنظيم الاجتماعي بما يضم من نظم اجتماعية وادوار ومكانات، والتي من شانها أن تضمن استمرار انماط السلوك الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية عبر الزمن "

وبهذا يدل مفهوم البناء الاجتماعي على تلك الآليات التي يمكن من خلالها ضمان استمرار التركيبة الاجتماعية بما هي عليه من خصائص وسمات بما يؤدي الى إعادة الإنتاج الاجتماعي بخصوص الاتجاه الماركسي، وقد ارتبط مصطلح البناء الاجتماعي في المجال الأنثروبولوجي بأعمال الأنثروبولوجيين البريطانيين و على رأسهم رادكليف براون.

-البناء الاجتماعي عند رادكليف براون : ينظر براون إلى البناء الاجتماعي باعتباره شبكة

من العلاقات الاجتماعية التي تجمع بين شخصين أو أكثر مثل ما هو عليه الحال في نظام القرابة من خلال العلاقات الثنائية التي تجمع مثلا بين الأب وابنه والأخ وأخته.

،وكذلك عمليات التمييز القائمة بين الأفراد على أساس الدور الاجتماعي مثل دور النساء ودور الر جال والزعماء، الخ.[56]

-البناء الاجتماعي عند إيفانز بريتشارد : كانت نظرة بريتشارد مخالفة نوعا ما لنظرة براون في قضية تشكل البناء الاجتماعي من العلاقات الثنائية، فعلى عكس براون ذهب بريتشارد إلى أن البناء الاجتماعي يتشكل من تلك العلاقات التي تقوم بين الجماعات التي تتمتع بدرجة عالية من الثبات والاستمرار في المجتمع مثل القبائل والعشائر. ..الخ، فبريتشارد –وعلى عكس براون – يرى أن الأسرة لا تتمتع بتلك الدرجة من الثبات والاستمرار، ذلك أنأفرادها مثل الزوج والزوجة

---

55 -Turner, Jonathan: **The structure of sociological theory**, the dorcy press, homeword,p23

56 -Alan Howard: Internationnal Psychology, **American Anthropologist**, Vol 84, N1-2, U.S.A, 2891,p50

Scanné avec CamScanner

يكبرون ويموتون، وكذلك الأولاد يكبرون ويكونون أسرا مستقلة جديدة. .الخ أما الوحدات القبلية مثلا فإنها تستمر في الوجود. .، إضافة إلى أن العلاقات الثنائية هي علاقات سريعة سرعان ما تتغير باختلاف المصالح ولكن العلاقات التي تجمع الجماعات القبلية هي علاقات ثابتة نسبيا، وهي تفرض أنواعا محددة من التعاون والتساند إزاء الجماعات الأخرى.

ويرتبط مفهوم البناء الاجتماعي بكل من مفهوم النظام الاجتماعي و النسق الاجتماعي، فإذا كان البناء الاجتماعي هو ذلك الكل المركب من أجزاء منتظمة حيث تمثل هذه الأجزاء مختلف أنماط السلوك و الظواهر، فإن النسق يشير على نحو ما يرى تالكوت بارسونز إلى " وجود نوع من التساند والاعتماد المتبادل الذي يهدف إلى تحقيق وظائف معينة أيضا بين عدد من الأفراد أو الزمر الاجتماعية الذين يقومون بأدوار مرسومة ومحددة "[57]

ويرتبط البناء في استمراره بالوظيفة التي تؤديها مختلف أجزائه (أي نظمه المختلفة التي تشكله)، فالنظام السياسي مثلا إضافة إلى النظام الاقتصادي ونظام القرابة والدين. .الخ، كلها تؤدي وظائف ليتمكن من خلالها هذا البناء من الاستمرار والبقاء، وتشبه الوظائف التي تؤديها أجزاء البناء الاجتماعي تلك التي تؤديها أجزاء الكائن الحي، لذلك كانت محاولة فهم البناء الاجتماعي من منطلق الوظيفة التي تؤديها النظم المختلفة وبتأثير واضح من الدراسات البيولوجية، فالمدرسة الوظيفية تهتم بوظيفة النظم ضمن الواقع الاجتماعي دون الرجوع إلى الماضي لتتبع تاريخ هذه النظم، وعلى وجه العموم فإن وظائف النظم المختلفة تتجلى في مختلف العلاقات والتفاعلات الاجتماعية ومختلف صور الأدوار والمكانات الاجتماعية والتي تشكل في الأخير دعامة أساسية لبقاء واستمرار البناء الاجتماعي.[58]

---

57 Robert Deliège: **Histoire de l'anthropologie**, (Ecoles, Auteurs, Théorie), éditions du seuil, Paris-France, 2006,p109.

58 Robert Greswell: **Elements d'ethnologie**, Armond colin,Paris-France, 1975,p66.

Scanné avec CamScanner

- نظام القرابة:

يعتبر نظام القرابة من الموضوعات الأساسية في مجال الانثروبولوجيا، فهو المجال الذي بمقتضاه يمكن التعرف على علاقات الاتصال من خلال قنوات الأسرة والزواج ومختلف القوانين التي تحكمها، لذلك يعتبر الزواج ونظام الأسرة إحدى أهم النظم الداخلة في تشكيل النظام القرابي العام.

لقد شكلت القرابة موضوعا أساسيا للانثروبولوجيا منذ نشأتها خاصة عندما نشر لويس مورغان مؤلفه "أنساق قرابة الدم والمصاهرة " عام 1870، كما كانت محل اهتمام من قبل مختلف أعلام الأنثروبولوجيا الآخرين مثل براون وبريتشارد ومارسيل موس، ووصولا إلى الأنثروبولوجيين المتأخرين من أمثال كلود ليفي ستروس الذي ساهم في إثراء الحقل الأنثروبولوجي من خلال تحليلاته للعديد من الموضوعات وعلى رأسها موضوع القرابة، ويعتبر كتابه " البنى الأساسية للقرابة " الذي نشره أول مرة عام 1949 خير دليل على ذلك. ويتم تحليل القرابة من خلال " مصطلحات القرابة" بتصنيفها وفقا لبعض أسس التصنيف المتداولة وتحليل أنماط الزواج وأنواع الأسر. .الخ.

أ - **مصطلحات القرابة :** يرى "كروبر" أن مصطلحات القرابة يمكن أن تنقسم إلى قسمين

رئيسيين، وذلك من خلال استخدام المجتمعات الإنسانية لهذه المصطلحات تبعا لذلك فإن هذين القسمين هما :[59]

- مصطلحات القرابة التصنيفية (الطبقية) : و هي تتأسس على الفئات و الطبقات العمرية فهناك طبقة الأجداد و طبقة الأبناء و طبقة الأحفاد، كما يتأسس هذا التصنيف على ملاحظة أساسية وهي إمكانية إطلاق اصطلاح " "أب " مثلا على جيل بكامله ممن هم في جيل واحد.

- مصطلحات القرابة الوصفية (التخصصية) : و تتأسس على الوصف الحقيقي للعلاقةالقرابية دون تصنيف فهناك الأب و الأم و الأخ و الأخت. ..، فالمصطلح القرابي هنايستخدم للدلالة على قريب واحد بالذات.

---

[59] أبو طالب محمد نجيب - **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لبنان – 2020،ص94.

Scanné avec CamScanner

ب - **بعض أسس التصنيف القرابي:** ويمكن تصنيف القرابة ومصطلحاتها وفقا لبعض الأسس مثلما يرى ألفرد كروبر فيما يلي :- الجيل : ويشير إلى جيل الأباء والأجداد أو الإخوة والأخوات. ..

- العمر : ويتم التصنيف هنا بناء على السن، فهناك كبار السن مثل الأجداد وهناك الأباء والأبناء، وهناك إخوة (كبار) وا, خوة (صغار)..الخ.فالأقارب المباشرون والأقارب غير المباشرون : فالأقارب المباشرون هم الذين نجدهم على خط النسب المترابط مثل : جد – أب – إبن – إبن الإبن....، أما غير المباشرون فيمثلون علاقة قرابية بشكل غير مباشر، أي بتوسط أشخاص آخرين مثل : الإبن وابن العم وابن الخال. .الخ.[60]
- الجنس :ويشير إلى التصنيف على أساس جنس الشخص (ذكر – أنثى).
- نوع المتكلم : تختلف الصفة القرابية باختلاف المخاطب فالزوج الذي يخاطب زوجته يختلف عن الإبن الذي يخاطب أمه. .الخ.
- القرابة الدموية وقرابة المصاهرة : هناك فرق بين القرابة القائمة على رابطة الدم كعلاقة الابن مع أبيه أو عمه، وهناك علاقة المصاهرة والتي أساسها الزواج بين رجل وامرأة وما من يترتب عليها من علاقات قرابية بالنسبة لأولادهما. .الخ.وفي تحليل النظام القرابي يتم الرجوع إلى الأنماط المختلفة للزواج وأنواعه، وتصنيف الأسر وأنواعها، ففي مجال الزواج نجد أن هناك عنصرين بارزين
- **الزواج الداخلي (الزواج من داخل الجماعة القرابية)** : وفيه يتعين على الرجل أن يتزوج من داخل الجماعة القرابية التي ينتمي إليها.

الزواج الخارجي : وفيه يتعين على الرجل أن يتزوج من خارج الجماعة القرابية ينتمي إليها،أما الأسرة فنجد أنها تتكون بدورها من عدة أنماط، لكن أبرزها مثلما يرى " ميردوك" ثلاثة وهي

الأسرة النووية: وهي النواة أو الخلية الأولى للمجتمع الإنساني، وتتكون من الزوج والزوجة والأبناء، وتسمى أيضا الأسرة "الزواجية" أو "الأسرة الصغيرة ".[61]

---

60 أبو طالب محمد نجيب - **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** المرجع السابق،ص98.

61 نفس المرجع،نفس ص102.

Scanné avec CamScanner

الأسرة متعددة الأزواج أو الزوجات : وهي تجمع عائلتين صغيرتين أو أكثر بشرط أنيكون إما الزوج أو الزوجة مشتركا في أكثر من أسرة صغيرة واحدة، وحسب الدراسات التي قام بها " ميردوك " فإن الأسرة متعددة الزوجات هي الأكثر انتشارا من الأسرة متعددة الأزواج.

الأسرة الممتدة : وتتكون على الأقل من عائلتين صغيرتين بحيث تكون إحداها امتدادا للأخرى، وهي تشكل أجيالا كجيل الأجداد والآباء والأحفاد، وأخيرا فإذا كانت موضوعات الثقافة والبناء الاجتماعي ونظام القرابة موضوعات أساسية للدراسة الأنثروبولوجية، فإن هناك موضوعات أخرى لا تقل عنها أهمية مثل النظام الديني والنظام السياسي والنظام الاقتصادي. .الخ، وهي كلها محل للدراسة في مجال الأنثروبولوجيا[62]

8-الانثروربولوجيا الحديثة: الموضوع و الهدف

من خلال الدراسة لهذه الموضوعات فإن علم الإنسان يسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف لعل أهمها وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، وذلك عن طريق معايشة الباحث للجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم في الحياة اليومية. تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلىأنماط إنسانية عامة، وفي سياق الترتيب التطوري لعلم الإنسان ' بدائي – زراعي- صناعي- معرفي- تكنلوجي)

- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية.

..وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني، وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وا, يجاد عناصر التغيير المختلفة.

- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل في الظواهر الإنسانية / الحضارية التي تتم دراستها، والوصول بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.

---

62 أبو طالب محمد نجيب - **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لبنان – 2020،ص104.

Scanné avec CamScanner

9-خصائص الأنثروبولوجيا وأهميتها في العصر الحالي:

وتكمن أهمية الأنثروبولوجيا فيما يميزها من خصائص ولعل ما يميز علم الإنسان عموما وعلى اختلاف التسميات المتداولة بين المدارس المختلفة هو اتجاهه لدراسة المجتمع ككل دون التركيز على جانب واحد فقط، وتعتبر هذه الخاصية إحدى أهم ما يميز علم الإنسان عن العلوم الاجتماعية الأخرى التي تركز على جانب واحد فقط مثل علم الاجتماع والنفس والسياسة. الخ، فهو يتميز " بالنظرة الكلية الشاملة، أي المنهج الكلي التكاملي الذي يهدف إلى تحديد جميع عناصر الثقافة في مجتمع ما "(1)، أي أن الأنثروبولوجي عليه إذا اتجه لدراسة مجتمع معين أن يحيط بكل جوانبه المادية والمعنوية، فينظر في طريقة عيش الجماعة المدروسة وطرق تفكيرها، ومختلف طقوسها وعاداتها وتقاليدها، وكيفية بناء مساكنها وطريقة لباس أفرادها، وأنماط الحكم لديها...الخ، غير أن الإحاطة بكل هذه الجوانب يتطلب من الأنثروبولوجي أن يتناول بالدراسة مجتمعا مصغرا يتميز ببساطة تركيبته وعلاقات أفراده، لأن دراسة المجتمعات المعقدة في كليتها أمر غير ممكن، لذلك نرى تعددا للعلوم الاجتماعية التي يهتم كل واحد منها بجانب واحد فقط من هذه الجوانب، هذا الذي جعل علم الإنسان يتجه في بداياته الأولى لدراسة المجتمعات البدائية التي تمثل البساطة في بنائها وعلاقاتها، " فقد اهتم الأنثروبولوجيون الأوائل بدراسة مظاهر الحياةالاجتماعية للمجتمعات البدائية إذ اجتذبتهم غرابة تلك المجتمعات واختلافها عن المجتمعاتالأخرى وبخاصة المجتمعات الأوروبية. فكان أهم ما يبحثون عنه هو اللغات والعادات الغريبة التي تختلف وتتناقض مع لغات وعادات مجتمعاتهم الأوروبية المتمدينة، وأصبح هذا تقليدا على ممر السنين .[63]

غير أن القول بتميز الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات البدائية مقابل تخليها عن المجتمعات المتمدينة (المعقدة) لصالح العلوم الاجتماعية الأخرى كعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة أصبح مجانبا للحقيقة في الوقت الراهن، " حيث انتشرت الدراسات الأنثروبولوجية الخاصة بالمجتمعات المتمدينة وخاصة

---

[63] خروف حميد وجصاص الربيع – **علم اجتماع الثقافة** – منشورات جامعة منتوريقسنطينة – 2003، ص103.

Scanné avec CamScanner

القرى، وكذلك بعض الدراسات المختصة بتحديد معالم حضارات المجتمعات المتقدمة مثل المجتمع الأمريكي والروسي والصيني، وقد بحث بعضهم في عمليات الصراع أو الامتزاج بين الحضارات المتقدمة التي تتلاقى في حالات الهجرة أو الحروب.

إن نزول الأنثروبولوجي إلى عمق هذه المجتمعات البسيطة أو " شبه البدائية" من أجل دراستها في مختلف جوانبها البنائية والوظيفية يسلم إلى خاصية جوهرية لدى هذا العلم، وهي التركيز على الدراسة الحقلية والميدانية، فعلم الإنسان يقوم بجمع معطياته من الميدان من خلال عمليات الوصف والمقارنة التي يقوم بها الأنثروبولوجي لمختلف طرق العيش والتفكير والعادات والسلوكات والطقوس والمظاهر التي تميز الجماعات المدروسة، لذلك كانت عملية الوصف والمقارنة أيضا إحدى الخصائص الجوهرية لعلم الإنسان.[64]

10-التيارات والنظريات الأساسية في الأنثروبولوجيا

منذ أن استقرت الأنثروبولوجيا علما قائما بذاته برزت العديد من الاتجاهات تناول الأنثروبولوجيون انطلاقا منها مختلف الموضوعات الأنثروبولوجية، و لقد كانت نظرية التطور في مجال البيولوجيا و التي ساهم في إرساء دعائمها " تشارلز داروين" ملهما حقيقيا للأنثروبولوجيين

الأوائل الذين تناولوا الثقافة و المجتمع بنظرة تطورية، لكن أسس التفسير تعددت باتساع الدراساتفي الحقل الأنثروبولوجي و بروز اتجاهات و نظريات اجتماعية لها القدرة على التحليل و التفسير، 'àç_ ولعل أهم اتجاهات و نظريات دراسة الأنثروبولوجيا ما يلي :

- التيار التطوري:

كان للاتجاه التطوري الفضل في احتضان الانثروبولوجيا حين نشأتها خلال القرن ال19م، فقد كان هم الأنثروبولوجيين أنذاك هو فهم الكيفية التي تنشا وتتطور من خلالها المجتمعات وثقافاتها، فموضوع البحث الأساسي بالنسبة للتطوريين هو التفسير التاريخي لمختلف المراحل التي مرت بها البشرية من

---

[64] ريتشارد إيفانز – الانسنة المجتمعية – دينة البدائيين في نظريات الأناسيين – ترجمة حسن قبيسي – دار الحداثة – بيروت – لبنان – ط1- 1986،ص 221.

Scanné avec CamScanner

خلال اكتشاف القوانين التي أتاحت عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وكان التطوريون يعتقدون بوجود مسيرة خطية واحدة تسير وفقها المجتمعات البشرية، وأن كل مجتمع لابد له من الانتقال من مرحلة إلى أخرى دون مواجهة أشكال أخرى من التطور، لكن هذه النظرة لم تكن شاملة لجميع التطوريين، فقد رأى البعض أن التطور يسير بكيفية بطيئة ومتدرجة فيما رأى البعض الآخر أنه يسير بوتيرة مختلفة من مجتمع لآخر.[65]

وقد كان المجتمع الغربي بمثابة المرجع الأساسي في قياس درجة تقدم وتخلف المجتمعات، فالمجتمع الغربي يمثل قمة مراحل التطور، وبالمقابل تمثل المجتمعات الأخرى التي تقبع في درجات دنيا من التطور الأصول الأولى للتطور بالنسبة للمجتمع الغربي، هذا الذي سوغ عملية المقارنة بالنسبة للباحثين التطوريين، فكان المنهج المقارن أحد أهم المناهج البحثية لديهم.

كان الأمريكي " لويس مورغان" (1818- 1883) أحد أهم أقطاب هذا الاتجاه من خلال أعماله التي تركزت على وجه الخصوص حول القبائل من سكان أمريكا الأصليين، وقد قدم مورغان إسهامات هامة حول حياة وثقافة هؤلاء السكان الذين عاش معهم، خاصة في عمله حول القرابة (أنساق القرابة والمصاهرة للعائلة البشرية)عام 1870، ولهذا فقد كانت القرابة مدخلا أساسيا لدراسة التطور الاجتماعي، فقد تغيرت مصطلحات القرابة مثلا بصورة بطيئة، وأعطت إشاراتلفهم المراحل المبكرة للتطور الاجتماعي.

وفي كتابه المجتمع القديم الذي صدر عام 1877 يقر مورغان أن المجتمعات البشرية تمر بمراحل تطورية حيث كل مرحلة تشكل نمطا معينا وفقا لمراحل التطور الثقافي، فكل المجتمعات حسب مورغان [66]تخضع لقانون واحد خلال عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وبهذا يصل مورغان إلى أن البشرية تطورت عبر ثلاث مراحل تطورية هي :

- **مرحلة الهمجية (التوحش)** : ويقسمها إلى ثلاث مراحل وهي مرحلة التوحش الدنيا ومرحلة

---

[65] خروف حميد و جصاص الربيع – **علم اجتماع الثقافة** – منشورات جامعة منتوريقسنطينة – 2003 ص103-ص105.

[66] حمدان محمد زياد: **الثقافات الاجتماعية المعاصرة** – دار التربية الحديثة – عمان ، الأردن -1989،ص 66.

Scanné avec CamScanner

التوحش الوسطى ومرحلة التوحش العليا، ويوضح مورغان أن هناك ارتقاء ثقافي خلال الانتقال عبر كل مرحلة في تقنيات العيش والنظم الاجتماعية.

- **مرحلة البربرية :** وتنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل : دنيا ووسطى وعليا.
- **مرحلة المدنية (الحضارة):** وهي التي تتميز باختراع الكتابة والحروف الهجائية وهي مازالت مستمرة إلى اليوم.

كما يعد إدوارد تايلور (1832- 1917) أحد رواد هذا الاتجاه، لقد اهتم تايلور بالثقافة، وهو صاحب التعريف الشهير للثقافة والذي أورده في كتابه " الثقافة البدائية " عام 1871، وعلى الرغم من أنه انجليزي (بريطانيا معقل الأنثروبولوجيا الاجتماعية وليس الثقافية) إلا أنه ساهم في إضفاء قيمة أكبر على مفهوم الثقافة، لقد كان تايلور يؤمن أن " المسارات الثقافية التي سلكتها الشعوب لم يكن لها أن تتكرر أينما كان على وجه واحد عبر تلك الحركة الأحادية. ..فقد كشفت له خبرته الميدانية في المكسيك عن أهمية الاحتكاك الثقافي ومحاكاة الشعوب الأخرى، مما جعله يعتقد بإمكانية أن التطور قد يتم بناء على مساهمات خارجية، وأنه كان والحالة هذه أشد تنوعا مما يضن البعض.[67]

ورغم اهتمام تايلور بجوانب الحياة الاجتماعية المختلفة إلا أنه اشتهر أكثر بدراسةالمعتقدات الدينية، ففي البداية بدأ الإنسان بالتفكير في الروح الملازمة للإنسان ثم تدرج فيالتفكير حيث اعتقد أن هناك أرواحا تسكن الطبيعة تماما مثل الروح التي تسكن الجسد، وفي الأخير توصل الإنسان إلى فكرة الإله الواحد كمرحلة أخيرة تعبر عن قمة تفكيره. (1)

غير أن مراحل التطور التي أوردها تايلور لا تمثل حتمية ملزمة مثلما كان عليه الأمر لدى لويس مورغان، فتايلور كان ورغم تصنيفه ضمن الاتجاه التطوري إلا أن آراءه وأفكاره كانت ذات صلة بالاتجاه الذي يقول بانتشار الثقافة، وقد عبر تايلور عن هذا من الناحية النظرية بهذه الفكرة :" غالبا ما انتشرت الحضارة أكثر مما تطورت " كما كانت إسهامات جيمس فرايزر (1854- 1941) ذات أهمية في مجال التطور، ولعل من بين إسهامات فرايزر ما قدمه في كتابه الضخم " الغصن الذهبي" الذي يضم اثني عشر مجلدا والذي صدر بين 1890و1915 بشكل متتابع، وفيه قدم نظرته حول

---

67 الساعاتي سامية حسن – الثقافة والشخصية – دار النهضة العربية للطباعة والنشربيروت – لبنان – ط2- 1983،ص 82.

Scanné avec CamScanner

مراحل تطور الفكر الإنساني الذي انطلق من السحر في محاولته السيطرة على الطبيعة ثم إلى الدين من خلال تفويض أمره إلى الآلهة، ثم المرحلة الأخيرة وهي مرحلة العلم.

- التيار التاريخي :

ويتزعمه العالم الألماني فرانز بواز (1858-1942) والذي كان رائدا لهذا الاتجاه في أمريكا وبفضله تم الانتقال من النظرة الخطية التطورية للتاريخ كما كانت عليه نظريات التطوريين إلى دراسة ثقافات محددة كثقافة العشائر و القبائل، مع التأكيد على ضرورة دراسة هذه الثقافات في إطار منطقتها الإقليمية الثقافية، و الهدف من ذلك هو معرفة أصول و تواريخ الثقافات و تحديد خصائصها و لكن الهدف الأسمى يتجلى أخيرا في المقارنة بين هذه التواريخ والتي تميز هذه الثقافات من أجل الوصول إلى القوانين العامة التي تحكم نموها و تطورها.

-التيار الانتشاري :

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الاتصال بين الجماعات و الشعوب أدى إلى انتشار بعض السمات الثقافية، فعملية الانتشار الثقافي تنطلق من مركز ثقافي إلى باقي المناطق كما أن الانتشار يتم أيضا من خلال انتقال السمات الثقافية من جماعة سابقة إلى جماعة لاحقة.

وتعتبر فكرة " المنطقة الثقافية " التي طورها "وسلر " (تلميذ بواز) أداة هامة في دراسة الثقافة و جوهرها تقسيم و تصنيف ثقافات العالم إلى مجموعات ثقافية بناء على تشابه العناصر الثقافية التي تكونها، و المنطقة الثقافية إقليم يضم مجتمعات إنسانية متشابهة الثقافة، و من أجل تحديد و تمييز منطقة عن أخرى يتم تتبع مدى انتشار العناصر الثقافية المميزة لتلك الثقافة (طرق و أدوات الصيد، طهي الطعام، العناصر المشكلة لمختلف النظم.....) مثلما فعل الأمريكي "سابير" الذي حاول تحديد مدى انتشار عناصر " رقصة الشمس " عند هنود السهول بأمريكا الشمالية.

وفي أنجلترا برز من يقول بوجود مركز للثقافة تنطلق منه إلى باقي أنحاء العالم، و خير مثال على هذا نظرة العالم " إليوت سميث" الذي رأى بأن مصر القديمة هي مركز كل الثقافات الحالية حيث انتشرت العناصر الثقافية من مصر إلى باقي أنحاء العالم، فقد كانت نظرة سميث هذه مؤسسة على تشابه الآثار

Scanné avec CamScanner

المختلفة في العالم مع الآثار التي اكتشفها عالم الآثار " بتري" كنظم القرابة و فن التحنيط و عبادة الشمس. ...إلخ[68]

-التيار التناسقي التكاملي:

المنطق العام لهذا الاتجاه هو ضرورة النظر إلى الثقافة ككل متكامل يجمع بين الأفكار و المشاعر من جهة و السلوك الظاهر من جهة ثانية، و قد كان " سابير " من الممهدين لهذا الاتجاه من خلال نظرته للثقافة في صورة تفاعل الأفراد فيما بينهم، و ما ينتج عن ذلك من معان و مشاعر مشتركة، لذلك يعرف الثقافة بأنها" كل متكامل من أنماط فكر و عواطف و أنماط العمل"[69]

و تعد العالمة الأمريكية " روت بندكت" واحدة من أهم الممثلين لهذا الاتجاه، و يتجلى ذلك في قولها بأن "الثقافة مثل الفرد لديها نمط متناسق من الفكر و العمل، كما أنه لفهم الثقافة لابد من الأخذ في الاعتبار الاتجاهات العقلية و الشعورية السائدة فيها و القيم و الأهداف المشتركة بين أفراد المجتمع الذي تتم فيه دراسة الثقافة"، ففي دراستها لبعض القبائل الهندية في جنوب غرب أمريكا الشمالية وجدت بندكت اختلافا بين القبائل، فمنها التي تركز على المظهر الخارجي للسلوك و تهتم بالطقوس و احترام العادات و التقاليد وأطلقت عليها اسم " ثقافات منبسطة "، و منها التي تتميز بالعدائية و تعطي للدافع النفسي الداخلي أهمية أكبر من العوامل الخارجية و أطلقت عليها اسم " ثقافات منطوية "، فالوصول إلى فهم ثقافة ما لابد أن يأخذ في الاعتبار السلوك الظاهري في صوره المتكررة و مختلف الاتجاهات العقلية الشعورية في تناسقها و تكاملها.[70]

- التيار البنائي الوظيفي :

---

[68] مصباح عامر – **علم الأنثروبولوجيا** – دار الكتاب الحديث – القاهرة – 2010،ص 117.

[69] محمد، **العلوم الإنسانية والأيديولوجيا**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 وقيدي، ص 113.

[70] لكلرك جيرار - **الأنثروبولوجيا والاستعمار** - ترجمة جورج كتورة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان - ط2-1990ص 106.

Scanné avec CamScanner

يعد البناء والوظيفة من المفاهيم المحورية في تحليل المجتمع، وفي الانثروبولوجيا الاجتماعية يشير مفهوم البناء الاجتماعي الذي طوره " رادكليف براون" إلى تلك العناصر التي ينسجم وتتكامل بعضها مع البعض الأخر بغرض الحفاظ على بقاء واستمرار هذا البناء.

لقد ارتبط الاتجاه البنائي الوظيفي بأسماء مالينوفسكي وراد كليف براون، فقد كان هذا العالمان وفي سياق نقدهما للنزعة التطورية والانتشارية يرفضان النظر للتاريخ، ولذلك كرسا جهودهما لتحليل الزمني الآني لعناصر الثقافة المختلفة في مجتمع معين وفي الوقت الحاضر، أي دون الاهتمام

بالسيرورة التاريخية لتطور العناصر الثقافية مثل العادات والتقاليد والمؤسسات. ولكن بالبحث عن الوظائف التي تؤديها هذه العناصر داخل الجماعة المدروسة.

وإذا كان كل من براون ومالينوفسكي وظيفيين في اتجاههما العام من حيث تركيزهما على دراسة البنيات المجتمعية في زمنها الراهن، إلا أنهما اختلفا في نظرتهما لمفهوم الوظيفة، حيث كان مالينوفسكي يهتم أكثر بمفهوم الثقافة وتحديد الوظائف التي تؤديها، وفي المقابل اهتم براون أكثر بالعلاقات الاجتماعية أو البنية الاجتماعية، ذلك ما يعكس تأثره بالمدرسة الوضعية التي تزعمها إميل دوركايم، والتي تؤمن بقدرة العلوم الاجتماعية على اكتشاف القوانين المتحكمة في الظواهر، بالإضافة إلى اتجاهه لاستعارة منهج البيولوجيا وتطبيقه على المجتمع.[71]

يرى براون أن المجتمعات هي كائنات بيولوجية، بمعنى أن هناك تشابها حقيقيا بين البناء العضوي والبناء الاجتماعي، وما على الباحث إلا أن يدرس عناصر البناء الاجتماعي بغرض الكشف عن تفاعلات هذه العناصر التي تشكل من خلال تفاعلها نسقا قائما بذاته، ثم يقوم بعد ذلك باستنتاج القوانين الوظيفية لمجتمع أو مجتمعات معينة، والانتقال بعدها إلى تعميمات عن طبيعة المجتمعات الإنسانية.[72]

- تيار البنيوية الأنثروبولوجية:

---

[71] الساعاتي سامية حسن – الثقافة والشخصية – دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت – لبنان – ط2- 1983، ص56.

[72] مها كيال – "السيرة الحياتية منهجية وتقنيات بحثية"- مجلة الثقافة الشعبية - الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر – البحرين – عدد29- ربيع 2015، ص87.

Scanné avec CamScanner

أما البنيوية على الطريقة الفرنسية والتي كان كلود ليفي ستروس (1908- 2009) رائدا لها فقد اختلفت عن البنيوية الوظيفية كما فهمت وموورست من قبل أوائل الوظيفيين وعلى رأسهم براون ومالينوفسكي، فقد سعى ليفي ستروس ومن منطلق نزعته الفلسفية إلى محاولة معرفة " الإنسان الكامل" بجميع أبعاده، لذلك نراه يقر بتنوع الثقافات وخصوصياتها، بما يدعو لمعاينتها في أشكالها المجزأة، وبهذا فقد انطلق ليفي ستروس في دراساته العديدة (الأنثروبولوجيا البنيوية - البنى الأولية للقرابة ــ العرق والتاريخ- مدارات حزينة. .) من الاختلافات القائمة بين المجتمعات، هذه الاختلافات التي رأى أنها ذات طابع تكاملي، لهذا كانت الأنثروبولوجيا بالنسبة إليه بمثابة علم الاختلافات المتكاملة التي تبحث عما هو جامع في الخصائص المشتركة بين كل المجتمعات.

يبحث الأنثروبولوجي وفقا لنظرة ليفي ستروس البنيوية عما يتخفى وراء العقل، أي عما وراء العقلي والشعوري، وعن الذي يتخفى خلف التنظيم المجتمعي، وخلف الممارسات والمعاش اليومي، فهناك شيء مشترك حسب ليفي ستروس نجده عند كل إنسان مهما كان أصله ومهما كانت ثقافته، وهو اللاوعي الجماعي للذهن البشري، إن الشيء الذي يريده ليفي ستروس بالذات هو البحث فيما وراء النظم والبنيات الظاهرة، في النفسيات الجماعية التي تحكم الجماعات بالذات.

يستعير ليفي ستروس من الألسنيين طريقة عملهم ليطبقها على المجتمع، فطريقة عمل الألسنيين كما نجدها عند دوسوسور وتروبتسكوي وجاكبسون تقوم على استخراج معنى الكلام من ذلك الاتساق الذي يحدث بين العناصر الصوتية (فونيمات)، فترتيب هذه الأجزاء أهم للفهم من تعقب تكوينها وتطورها التاريخي.[73]

بهذه الطريقة يتم تطبيق " المنطق الألسني" على المجتمع في مجال الانثروبولوجيا وخاصة على بعض النظم الأساسية كنظام القرابة ونظام الأسطورة وهي الموضوعات المفضلة لدى ليفي ستروس، وبالإضافة إلى هذا نجد أن هناك تقاربا بين " الفونولوجيا"(علم وظائف الأصوات اللغوية) من جهة وبين مصطلحات وتسميات القرابة من جهة ثانية، فهذه التسميات تتشكل على مستوى اللاوعي من خلال استخدام أزواج تضادية وعناصر تفاضلية (أب – إبن، أخ – اخت، زوج – زوجة. .)، ويصل ليفي ستروس إلى إبراز أهمية الاتصال والتبادل في مجال الأنثروبولوجيا، فوجد أن هناك ثلاثة

---

73. Charles-Henri Favrod: L'Anthropologie, **Encyclopedie du monde actuel (E.D.M.A)**, coll, lior de poche, Paris-France, 1977,p61.

Scanné avec CamScanner

مستويات من التبادل، يتصل المستوى الأول بقواعد القرابة والزواج ويتصل المستوى الثاني بالقواعد الاقتصادية، أما المستوى الثالث فيتصل بالقواعد اللغوية.

Scanné avec CamScanner

11-الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل وبعد الاستقلال

- علاقة الأنثروبولوجيا بالاستعمار:

يربط الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية نشأة الأنثروبولوجيا بظاهرة الاستعمار الحديث، فقد كانت نشأة هذه الأخيرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بما يتزامن مع هبة الدول الرأسمالية الغربية للبحث عن مجالات جديدة وراء البحر من أجل تحصيل المادة الخام للمصانع المتزايدة في أوروبا، وبالمقابل تسويق ما أصبحت تنتجه هذه المصانع باستمرار، وبغض النظر عن الجذور التاريخية للأنثروبولوجيا والتي تمتد في العصور القديمة من خلال عمليات وصف ومقارنة الخصائص المختلفة للشعوب والأجناس، ذلك الذي مارسه هيرودوت اليوناني أو ابن بطوطة وابن خلدون من المسلمين خلال رحلاتهم المختلفة ومعايشاتهم لمختلف الأعراق البشرية، فإن ميلادها بالمعنى " العلمي" كان متزامنا مع اشتداد عود الثورة الصناعية في أوروبا، لقد كانت هذه الفترة مهدا لنشأة العلوم الاجتماعية عموما، من أجل التصدي للمشكلات والظواهر التي أفرزتها تلك المرحلة، فإذا كان علم الاجتماع مثلا قد نشأ من أجل حل المشكلات الاجتماعية التي برزت خلال الثورة الصناعية داخل المجتمعات الأوروبية، فإن الأنثروبولوجيا القريبة جدا من علم الاجتماع قد تم إنشاؤها وتطويرها بغرض فهم المجتمعات غير الأوروبية، من أجل مساعدة الأوروبيين على التوسع خارج أوروبا من خلال ظاهرة الاستعمار، فمنذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أصبحت ظاهرة الاستعمار تمثل رابطا حقيقيا بين مختلف الشعوب، فقد حدث منذ هذا التاريخ " أن احتكت الحضارات المختلفة بعضها ببعض، وأخذت تبرز الفروقات الثقافية المتنوعة لدى الشعوب، وشملت هذه الفروقات الممارسات والمعتقدات الدينية والقيم الحضارية والمسلك الاجتماعي، كما شملت أنماط العيش المتنوعة من مأكل وملبس ومسكن، مضافا إليها الفروقات في اللغة والأدب، وفي التنظيم الاقتصادي والاجتماعي."[74]

ومع سيادة النزعة التطورية في تفسير الظواهر خلال نشأة الأنثروبولوجيا استقر لدى الأوروبيين أن " الحضارة البشرية كلها تتطور حسب نظم وقواعد ثابتة وموحدة لاتتغير باختلاف المكان والزمان"

---

74 شاكر سليم – قاموس الأنثروبولوجيا (أنجليزي ، عربي) – جامعة الكويت- ط1-،1981 ،ص 68.

Scanné avec CamScanner

هذا يعني أن الشعوب البدائية تمثل المراحل الأولى في التطور بالنسبة للمجتمعات المتقدمة، لتكون بذلك صورة المجتمعات البدائية في إفريقيا وأستراليا وأمريكا أصلاحضاريا للشعوب الأوروبية المتقدمة.

يمثل هذا نوعا من " التبرير العلمي" لاندفاع الأوروبيين نحو فهم تركيبة وثقافة المجتمعات الأخرى، بما يظهر نوعا من التوافق بين الأنثروبولوجيا والاستعمار، بين أيديولوجية الاستعمار وأيديولوجية العلم الجديد (الأنثروبولوجيا)، لقد عمدت هذه الأيديولوجية التي ترتدي ثوب العلم إلى تسفيه ثقافة الشعوب الأخرى، باعتبارها ثقافة بدائية تحتاج إلى تطوير، هذه الثقافة البدائية التي تمثل الخرافة مقابل 75" الموضوعية العلمية" التي تبشر بها الأنثروبولوجيا، فعلى النظرية الأنثروبولوجية أن تتحمل مسؤولية إزاحة الخرافة من خلال تقديم تفسير " علمي" لها، " فالنظرية الأنثروبولوجية هي النظرية الوحيدة " المعقلنة " من هذه الزاوية، لا الثقافة البدائية بحد ذاتها، عقلنة هذه الأخيرة ممكنة بواسطة سواها لا بذاتها، إن الخرافة والحق يقال لا تدرك شيئا، وعقلنة الثقافة البدائية تنحل بشكل ما في الممارسة الأنثروبولوجية القادرة على العقلنة ،وفي اللحظة التي نتمكن فيها من فهم الخرافة، تكون الأنثروبولوجيا قد قضت عليها .[76]

يصف جيرار لكلرك الأنثروبولوجيا بأنها ممارسة جديدة تستمد معناها من داخل "الاستعمار العلمي" لا غير، غرضها الأساسي هو " إما وصف شروط الوجود البداني في المرحلة السابقة على دخول الاستعمار، بحيث تصف نمط هذا الوجود قبل أن يصار للقضاء عليه، أو أنها ستتناول شروط هذا الوجود كما خلقه الاستعمار، وبذلك يتحول حقلها إلى دراسة التغير الاجتماعي أو التثاقف " ، ويرى لكلرك أن الأنثروبولوجيا تعمل على تسويغ الاستعمار وتقديمه كحتمية " علمية" غرضها إجلاء " البدائية " عن الشعوب المستعمرة وا دخالها في مسيرة التقدم.[77]

---

75 شاكر سليم – قاموس الأنثروبولوجيا (أنجليزي ، عربي) – جامعة الكويت- ط1-1981 ،ص 88.

76 Robert Greswell: **Elements d'ethnologie**, Armond colin, Paris-France, 1975,p133.

77 Alain Bajomée: **Elements d'anthropologie culturelle**, les éditions de Cétal, 2012,p133.

Scanné avec CamScanner

مبرة الاستعمار الحديث ليست التعالي، بل إنه حدث بسوء نوق المجتمع العلمي خاصة فيمجال العلوم الاجتماعية، وبالرجوع إلى الجانب الأيديولوجي فإن " أطروحة " العلم لصالح الاستعمار تمت من خلال الاحتماء ببعض المفاهيم الكاذبة، نجد ذلك مثلا في المفاهيم التي أسسها المدرسة الوظيفية والتي تؤشر على أن الاستعمار لا يمثل نظاما أيديولوجيا بقدر ما يمثل حقيقة واقعية نجد لها صدى في العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المجتمعين الغربي (الاستعمار) والدائي (الشعوب المستعمرة)، من هذه المفاهيم نجد الاحتكاك الثقافي، التثاقف، الصدمة الثقافية، التغير الثقافي ...الخ

يرى لكلارك أننا لانجد خلف مفهوم التثاقف مثلا مثلما حددته الأنثروبولوجيا الكلاسيكية غير الاستعمار المعاصر، لذلك نراه يرجع إلى بعض آراء جاك بيرك لتأكيد هذا الموقف حيث يرى بيرك أن " هدف علم اجتماع الاستعمار كان السيطرة على الدوام، وكل المقولات التي تم التشدق بها حول أثر "الاحتكاك" الثقافات لم تكن أكثر من زينة زائفة ليحقق هدفه في الدرجة الأولى وتبرير الفساد الذي يعدله [78]

ويمكن الرجوع إلى الحضور اللافت والمدروس لبعض المقولات والمفاهيم عند بعض منظري الاستعمار مثل مفهوم " الحماية" الذي يحل محل مفهوم الاستعمار لدى " روبير مونتاني" الذي ركز دراساته في البلاد العربية الخاضعة للاستعمار، مع الاهتمام بالمغرب كميدان خصب للدراسة الأنثروبولوجية، يلعب مفهوم الحماية "على صعيد الأيديولوجيا الدور الذي يجعل ظاهرة الاستعمار مقبولة، لا عند من هو محل لها فحسب، بل عند من يمارسها أيضا " (4)، ويعمل هذا المفهوم على هذا الصعيد على تلميع صورة الاستعمار، فالاستعمار وإ ن كان يمثل كيانا جديدا (من الناحية الاجتماعية والثقافية) إلى جانب الكيان المحلي، فإن ذلك مفيد للمجتمعات التي تخضع للاستعمار، إن هذا الالتقاء يعبر عن صدمة حضارية نتيجة اللقاء بين حضارتين مختلفتين، تتغير إثرها البنى التقليدية للمجتمعات المستعمرة، بفعل قوة خارجية تفرض ثقافة جديدة وأنماطا من العلاقات جديدة أيضا على كافة المستويات الاجتماعية، " إن النتيجة الفورية لهذا الفرض منالخارج أن التغير المجتمعي الحادث على البنيات المجتمعية لهذه المجتمعات التقليدية يسير فيتطوره بوتيرة غير عادية، فتجد هذه البنيات ذاتها مضطرة

---

[78] لوي روبرت – تاريخ الاثنولوجيا – من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية – ترجمة نظير جاهل – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - - بيروت- ط2- 2007- ص93.

Scanné avec CamScanner

إلى أن تنتقل عبر جيل واحد أحيانا من مرحلة القبيلة إلى مرحلة المدينة ثم إلى مرحلة الدولة وهو الأمر الذي تطلب في حضارات أخرى قرونا من الزمن.[79]

يدخل هذا ضمن أسطورة " التمدين " التي دأب منظرو الاستعمار على الاختباء خلفها من أجل التمكين لبقاء النظام الاستعماري والحفاظ على الوضع القائم، لقد كان للنظام الاستعماري منظروه الذين يعملون على توفير المعرفة الكافية بالشعوب المستعمرة كعامل أساسي للسيطرة، فالأبحاث الأنثروبولوجية التي تمت على هذه الشعوب لم تكن منفصلة عن مخططات وأهداف الاستعمار، بل كانت موجودة في صلب هذه المخططات والأهداف، " لقد بدأت الهيمنة الاستعمارية تدرك أن حكم -الأهالي- لا يستقيم إلا بمعرفة معمقة للغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم، والعلوم الاجتماعية الاستعمارية هي التي كانت تمد السلطات الاستعمارية بهذه المعرفة الضرورية للحفاظ على هيمنتها، ولضمان استمرار هذه الهيمنة لقد كانت المعرفة التي يتم تحصيلها عن طريق البحث الأنثروبوجي تقدم على طبق لكبار ضباط الجيش والساسة في النظام الاستعماري، يسوغ ذلك أن كثيرا من الباحثين أمثال " روبير مونتاني" و "جاك بيرك" كانوا موظفين لدى السلطة الاستعمارية.

لا يكتفي باحثو الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا الاستعمارية بمجرد وصف الشعوب المستعمرة بغية تكوين معرفة بها، ولكن هذه المعرفة يتم الحصول عليها عن طريق استدعاء المناهج المختلفة التي توفرها هذه العلوم، يمكن أن نلمس هذا في بعض الجوانب التي أتى عليه " روبير مونتاني" في بحثه " التطور الحديث للبلاد العربية "، حيث يرى مونتاني أن الشعوب ذات الحضارات العريقة مثلما هي حال البلاد العربية قد وجدت نفسها في صدام مع الحضارة الغربية التي حلت على هذه الشعوب عن طريق الاستعمار، هذا الصدام تولد عن وعي هذه الشعوب بضرورة الحفاظ علىهويتها التي تشكلت خلال قرون طويلة، وهنا يقترح مونتاني اتباع منهج تاريخي من أجل تشكيلمعرفة بأصول بنيات هذه الشعوب، ومن أجل مقارنتها مع بنيات المجتمعات الغربية.[80]

- الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال:

لقد كان الهدف من العمل الأنثروبولوجي لدى هؤلاء الأنثروبولوجيين هو تفكيك البنيات الاجتماعية والثقافية لهذه الشعوب باستخدام المناهج التي أتاحتها المنهجية العلمية في مجال العلوم الاجتماعية، وبما

---

79 الخوري فؤاد إسحاق - **مذاهب الأنثروبولوجيا وعبقرية ابن خلدون** - دار الساقي - بيروت - لبنان -1992، ص105.

80 Abraham franis: **Modern Sociological theory**, Oxford University Press-Delh,p91

Scanné avec CamScanner

يجعل المعرفة التي يتم إنتاجها معرفة عميقة من شأنها أن تساعد النظام الاستعماري في بسط هيمنته على هذه الشعوب، لكن هذا لا يعني أن المعارف المقدمة حول هذه الشعوب هي معارف صادقة بالمرة، ذلك أن عمليات التنظير كثيرا ما انحرفت عن الواقع بحيث حاولت تشكيل "واقع مثالي" يخدم بالكاد الإدارة الاستعمارية ولا يمت إلى "الواقع الموضوعي " بأية صلة، ذلك ما نلمسه فيما قدمه "فيليب لوكا " و" جون كلود فاتان " في كتابهما " جزائر الأنثروبولوجيين" حول الأنثروبولوجيين المزيفين الذين قدموا صورة خيالية عن المجتمع الجزائري خدمة للمصلحة الاستعمارية.

ومما حاول الاستعمار إقراره في الجزائر والمغرب العربي عموما تقسيمه للمجتمع إلى أجزاء متصارعة كالقبائل والعرب والسكان المستقرين والرحل. ..، فالفرضيات التي كان ينتجها الباحثون الأنثروبولوجيون كانت " متطابقة مع فرضيات السياسة الاستعمارية التي تعتبر أن السكان المستقرين سيكونون أقل رفضا للتدخل الاستعماري، كما كان التدخل يسعى إلى استغلال التنوع الإثني استغلالا سوسيولوجيا .[81]

لقد أنجز الباحثون الانثروبولوجيون بحوثهم ونظروا لمجتمعات المغرب العربي ببذلة عسكرية، فلقد كان النموذج السائد في مجال البحث هو نموذج الباحث العسكري الذي يستخدم العلم من أجل المصلحة الاستعمارية، ومن أهم التجارب البحثية في هذا السياق ما ذكره جاك بيرك في مقال له بعنوان " مائة وخمس وعشرون سنة من علم اجتماع الشمال إفريقي " ونقلها عنهمحمد نجيب أبو طالب " الأعمال البحثية التي أنجزها كل من هانوتو ولاتورنو وغوتي وكاريتوبيليسي حول الجزائر ومونتاني حول المغرب " [(1)]فكاريت وبيليسي (" carette et pelissier") اضطلعا رفقة عسكريين آخرين ببحث واسع النطاق حول الجزائر جمعوا خلاله معلومات غزيرة قدرت ب" قرابة أربعين مجلدا " [(2)] وخلال هذا البحث " استدعيت التخصصات والعلوم كالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والفيزيائية والحفريات لكي توفر نظرة أمينة ما أمكن عن الآخر أي هذا العربي أو هذا البربري بما أنهم ينكرون عليه أية تسمية أخرى " [(3)]

وقد وجدوا بموضوعية زائفة أن الجزائري همجي متوحش بعيد عن الحضارة، وذلك من خلال استقصاء العديد من النقاط التي تعتبر مكمن التخلف الأساسي وعلى رأسها المرأة والدين والجمعيات الدينية، كما

---

[81] ومبار جاك – **مدخل إلى الإثنولوجيا** – ترجمة حسن قبيسي – المركز الثقافي العربيالدار البيضاء ل– المغرب – ط1- 1997، ص49.

Scanné avec CamScanner

تم تناول هذه النقاط والقضايا من خلال بعض الثنائيات ومقابلة أطرافها بوصف الطرفين ومقارنتها مع تغليب الكفة التي تخدم السياسة الاستعمارية كمقابلة العرب بالبربر ووضع المرأة في الشريعة والحياة والمرأة العربية والبربرية. ..الخ.[1]

ومن الأطروحات التي حاول الاستعمار اللعب عليها في سياق عملية التفريق بين أهل البلد الواحد نجد محاولات التفريق بين العرب والبربر في الجزائر مع محاولة تقريب البربر ليكونوا بمثابة حليف داخلي وخاصة عند بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر لأن هذا " البربري" لم يعد يحظى بذات القيمة في الكتابات الانثروبولوجية الاستعمارية عند استقرار الاحتلال حتى لا يكون منافسا للمعمرين كعنصر جديد يريد فرض ذاته وهويته على الأرض الجزائرية، وقد وردت خلال هذه الأطروحات بعض المعلومات تقضي بأن " العربي يتميز بشعر وعينين سوداوين، أما القبائل فأغلبهم ذوو عينين زرقاوين وشعر أشقر وأشد بياضا، كما يتميز العربي بكرهه للعمل فهو كسول، ولا يهتم طوال السنة إلا بإشباع شهواته، أما القبائلي فهو يعمل ويكد طوال الموسم ويعتبر الكسل عارا مهينا " (4)، إضافة إلى هذا تزيد هذه الأطروحات أن هناك عداوة وكرها بين العرب والبربر[2].

فالواقع يبرز بشكل واضح – حسبهم – أن " القبائلي يكره العربي والعربي يكره القبائلي، فهذا المقتالمتأجج لا يمكن تفسيره إلا بشعور تقليدي توارثته الأجيال، كره بين عرق الغزاة (أي العرب)والعرق المقهور (أي القبائل) " (1)، كما أن عملية التفريق بين العرب والبربر تمت أيضا علىمستوى المرأة فوصفت المرأة " القبائلية " بالنظافة مقابل وصف المرأة العربية بالقذارة : " المرأةالعادية عند العرب عموما قذرة، أما المرأة القبائلية فهي أكثر نظافة وتعد هندامها مرتين في اليوم، في الصباح تنظف جسمها، وفي المساء تكثر من عملية الزينة والحنة " (2).

- الممارسة الأنثروبولوجية في الجزائر بعد الاستقلال:

---

[1] سرحان محمد المرسي: **في اجتماعيات التربية** – دار النهضة العربية للطباعة و النشربيروت ، لبنان – ط3 – 1981، ص88.

[2] أبو طالب محمد نجيب - **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لبنان – 2020،ص 120.

Scanné avec CamScanner

لقدت أدت الممارسة الانثروبولوجية على هذا النحو إلى اتجاه البعض في البلدان التي خضعت للاستعمار ومنها الجزائر ل "معاداة " الأنثروبولوجيا خاصة بعد استقلال هذه البلدان باعتبارها علما استعماريا، فقد كانت الأنثروبوبولوجيا كفرع معرفي تسير جنبا إلى جنب مع الدبابة والمدفع ولذلك كان التحرر من الاستعمار يقتضي بالضرورة التحرر من الإرث الكولونيالي في مجال الأنثروبولوجيا، بل واستبعاد هذا الفرع المعرفي الذي انتهى دوره بانتهاء الاستعمار، وهذا ما كان في الجزائر فعلا حيث " قررت الحكومة الجزائرية عدم تدريس الأنثروبولوجيا. .، وعدم الاعتراف بها والعمل على إقصائها من دائرة المعارف الاجتماعية والإنسانية. بل وصل الأمر إلى نعت كل باحث مهتم بهذا العلم بأنه من أتباع الايديولوجيا الكولونيالية.." (3) وقد استمر غياب الأثروبولوجيا كفرع معرفي عن الجامعة في الجزائر إلى غاية الثمانينات التي شهدت حراكا ثقافيا وسياسيا ليعود بعدها " كفرع معرفي قائم بذاته حيث أدرج في بعض الجامعات كتخصص أساسي، مثل جامعة تلمسان، حيث فُ تح لأول مرة في تاريخ الجزائر معهد وطني يتكفل بدراسة التراث الشعبي وتدريس الأنثروبولوجيا، هو "المعهد الوطني للتعليم العالي للثقافة الشعبية" وكان ذلك في العام 1984. كما عرفت بعض المراكز البحثية نشاطا انثروبولوجيا مميزا، مثل "المركز الوطنيللبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية" بوهران، و "المركز الوطني للبحث في ما قبلالتاريخ والأنثروبولوجيا" بالجزائر[1].

يعكس إقصاء الانثروبولوجيا بعد الاستقلال نوعا من التعصب لصالح نزعة " وطنية " ضيقة لا ترى في الأنثروبولوجيا سوى الحليف التقليدي للاستعمار، غير أن الممارسة الانثروبولوجية أبعد من ذلك بكثير إذ أنها أداة فقط في يد من يستعملها، فبالقدر الذي كانت فيه الأنثروبولوجيا أداة في يد الاستعمار يستخدمها في الهيمنة والسيطرة على الشعوب، فإن الباحثين الذين ينتمون للبلدان التي خضعت للاستعمار يستخدمونها أيضا في فهم المشكلات المتصلة بالتنمية الثقافية والاجتماعية، فهناك الكثير من القضايا تطرح نفسها للمعالجة الانثروبولوجية اليوم مثل قضية التباينات والصراعات العرقية، وا. شكالية الهوية، ومسألة الاندماج الاجتماعي والثقافي، والعولمة الثقافية. .الخ.[2]

المحاضرة السابعة

---

[1] محمد، **العلوم الإنسانية والأيديولوجيا**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 وقيدي،2011،ص80.

[2] شاكر سليم – **قاموس الأنثروبولوجيا (أنجليزي ، عربي)** – جامعة الكويت- ط1-1981 ،ص62.

Scanné avec CamScanner

12-منهج البحث والتقنيات المستعملة في الأنثروبولوجيا مناهج البحث الأنثروبولوجي :

تشترك الأنثروبولوجيا مع كثير من العلوم في العديد من المناهج والطرق البحثية، لكنها تتميز بتركيزها على بعض المناهج والطرق باعتبار طبيعتها وموضوعها الخاص(دراسة الإنسان في جميع جوانبه دراسة ميدانية)، ولهذا نجد الأنثروبولوجيا تستخدم المناهج التي تستخدمها العلوم الاجتماعية عامة، بل وحتى بعض المناهج المستخدمة في حقل العلوم الطبيعية مثل المنهج التجريبي، ويرجع هذا إلى اشتمال الأنثروبولوجيا على دراسة الشق الفيزيقي في الإنسان إلى جانب الشق الاجتماعي والثقافي، غير أن الأنثروبولوجيا بإمكانها استخدام المنهج التجريبي حتى في شقها الاجتماعي والثقافي، باعتبار أن المنهج التجريبي هو المنهج الذي عملت العلوم الاجتماعية وخاصة في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا على استعارته عند محاولة التأسيس العلمي لها، وفي هذا الصدد نجد دعوة أوائل علماء الاجتماع لاستخدام هذا المنهج، كما نجد بعض مؤسسي الأنثروبولوجيا الاجتماعية أيضا يدعون لاستخدامه وعلى رأسهم رادكليف براون الذي ينظر للمجتمع باعتباره نسقا طبيعيا، أي أنه محكوم بقوانين كتلك التي تحكم الطبيعة، غير أن اتصالالانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالجانب الثقافي والأخلاقي جعل الباحثين في هذا المجاليركزون أكثر على بعض المناهج المناسبة لطبيعة هذا الفرع المعرفي، ولعل من بين أهم المناهج التي تستخدم في الدراسة الأنثروبولوجية :[1]

- المنهج التاريخي:

يعتبر المنهج التاريخي أحد أهم المناهج المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية والثقافية بشكل خاص، لذلك يؤكد أصحاب المدرسة التاريخية على أهمية مفهوم " التاريخ الثقافي"، ويرى " ميتلند" أن الأنثروبولوجيا عليها أن تختار بين أن تكون تاريخية أو ألا تصبح شيئا على الإطلاق، وهي نفس رؤية " بيركت سميت " الذي يرى أن الحاضر لا يمكن فهمه إلا كنتاج للماضي "، وبذلك فإن "المشكلة الإثنولوجية " كما يتصورها سميث هي مشكلة تاريخية في جوهرها، وتتجه الأنثروبولوجيا مثلما يرى " سابير" ليعترف بها بأنها علم تاريخي أساسا، ذلك أن المعلومات التي يتم الحصول عليها لا يمكن فهمها في ذاتها أو في صلتها ببعضا البعض، ولكن بوصفها نهاية تتابع معين للأحداث، لذلك لابد من توافر نوع من الفهم التاريخي للوقائع باعتبارها الهدف الإثنولوجي الخاص بالباحث.

---

[1] Sills,D.L et Merton,R.R: **Internationnal Encyclopedia of the Social Sciences**.Vol.19,The macmillan Publishing co,.n.y, London,p62.

Scanné avec CamScanner

ويعتبر البحث التاريخي للثقافة مطلبا هاما وأساسيا في مجال الانثروبولوجيا الثقافية، ذلك ما بين الاهتمام الواضح بنشأة الثقافة وتطورها وأصولها، و عملية إعادة بناء الثقافة، وكذلك الكشف عن التتابع الزمني الذي حدثت فيه احتكاكات واتصالات ثقافية بين الجماعات والشعوب.[1]

كما أن الاهتمام بتاريخ الإنسان هو أحد المصادر الأساسية للدراسات الأنثروبولوجية، ويتضح ذلك في الدراسات المقارنة للمجتمعات والنظم الاجتماعية، وفي محاولة إعادة بناء تاريخ مجتمعات معينة، كما يتضح أيضا في اتجاه المدرسة الأمريكية للأنثروبولوجيا نحو الاهتمامبالمصادر التاريخية فيما يعرف ب" الذاكرة الثقافية" وهي تشير إلى الاعتماد على ذاكرة كبار السنمن القبائل الهندية للحصول على معلومات من هذه القبائل.

- المنهج المقارن :

ينطبق المنهج المقارن عل الأنثروبولوجيا بجميع فروعها ومجالاتها الدراسية، فأي بحث انثروبولوجي ينطوي بالضرورة على مقارنات بين متغيرن أو أكثر، ويقصد بالمنهج المقارن في مجال الانثروبولوجيا دراسة الظواهر الاجتماعية في مجتمعات مختلفة أو أنماط محددة من المجتمعات، ومقارنة النظم الاجتماعية من حيث استمرارها وتطورها والتغير الذي يطرأ عليها، أو حتى مقارنة مجتمعات بعضها ببعض، وتتحدد مجالات المقارنة في الدراسة الأنثروبولوجية في النقاط التالية :

- دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الأنماط الرئيسية للسلوك الاجتماعي.
- دراسة نمو وتطور مختلف أنماط الشخصية والاتجاهات السيكولوجية والاجتماعية في مجتمعات مختلفة وثقافات متعددة.
- دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات (تنظيمات سياسية – بيروقراطية – صناعية – مهنية. .الخ)، وكذلك دراسة النظم الاجتماعية المختلفة (الزواج- الأسرة – القرابة...)وذلك في مجتمعات مختلفة.

---

[1] النجيحي محمد لبيب: الأسس الاجتماعية للتربية – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، ط4 – 1971،ص95.

Scanné avec CamScanner

- تحليل ومقارنة مجتمعات بأكملها، وخاصة من خلال النمط الرئيسي السائد للنظم الاجتماعية والثقافية.[1]

وفي الدراسات الأنثروبولوجية الحقلية يميل بعض الانثروبولوجيين وخاصة في مجال الانثروبولجيا الاجتماعية إلى تركيز دراساتهم في مجتمع واحد أو عدد قليل من المجتمعات، هذا الذي يعرف ب " تقليد مالينوفسكي"، لأن مالينوفسكي كان يرى أن فهم ثقافة شعب من الشعوب البدائية لا يمكن

له أن يكون إلا من خلال دراستها دراسة معمقة، لذلك دعا إلى ضرورة تخصص الباحث الواحدفي مجتمع واحد فقط أو على الأكثر ثلاثة مجتمعات لا يزيد عليها، وذلك ما كان لمالينوفسكيحيث قضى أربع سنوات كاملة في دراسته لقبائل " التروبرياند" بمنطقة "ميلانيزيا" تعلم خلالها لغةالأهالي وتعمق في حياتهم الاجتماعية، لكن هذه الطريقة- ولاشك – تتعارض مع إجراء المقارناتبين الأبنية الاجتماعية المختلفة.[2]

يلاحظ إيفانز بريتشارد هذا التعارض ويدعو إلى نوع من المقارنة من خلال قيام كل أنثروبولوجي باستنتاج عدة نتائج من دراسته لمجتمع واحد، ثم يقوم هذا الباحث أو باحثون آخرون بالتحقق من صحة وواقعية تلك النتائج بالنسبة لمجتمعات أخرى، وهذا ما قام به " شنيدر" حين فحصه للنتائج التي توصل إليها " بريتشارد " في دراسته لقبائل " النوير " من خلال تطبيقها على قبائل " الزولوا.

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذه المقارنات التي قام بها هؤلاء العلماء تمت في سياق " أكاديمي"، وهي بذلك تختلف عن تلك المقارنات التي رافقت الانثروبولوجيا "التقليدية" التي أقامها الرحالة والمبشرون والعسكريون والتي كانت غير موضوعية في أساسها.

- المنهج البنائي الوظيفي :

رغم محاولة ابتعاد الاتجاه الوظيفي عن تلك المقارنات التي حاولت أن تعزل النظم الاجتماعية عن سياقها " البنائي"، إلا أن المقارنة بقيت لها قيمتها في التحليل الوظيفي، فقد رأى بعض العلماء أن الاتجاه الوظيفي هدفه هو التوصل إلى تعميمات تتعلق بالصلات المتبادلة بين النظم في المجتمعات ذات

---

[1] George Balandier: **Political Anthropology**, Peuguin Books, Middlesex- England, 1970,p36.

[2] Kendall, Diana: **Sociology in our Times**, Wadsworth Publishing- co, London,1996,p55.

Scanné avec CamScanner

الطبيعة الخاصة، وتصنيف المجتمعات من أجل إدراك نقاط التشابه بينها، لهذا حاول الاتجاه الوظيفي المزاوجة بين التحليل الوظيفي والمقارنة في الدراسات الانثروبولوجية، من خلال محاولة تناول الظواهر الاجتماعية في سياقها الكلي، وكذلك التعرفعلى الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام بالنسبة للبناء الاجتماعي الكلي.[1]

ولقد عارض مالينوفسكي نظرة بعض العلماء خاصة المنتمين منهم للمدرسة الأمريكية، والذين ينظرون للثقافة باعتبارها مجموعة من العناصر المنفصلة والمتباينة من حيث نشأتها، حيث رأى مالينوفسكي وبنظرة - وظيفية – أن كل ثقافة هي عبارة عن كيان كلي وظيفي متكامل شبيه بالكائن الحي لا يمكن فهم جزء منه إلا بالرجوع إلى الأجزاء الأخرى، كما سعى مالينوفسكي إلى تحديد الوظيفة النهائية للثقافة الإنسانية، في الوقت الذي يوجه رادكليف براون نظرته للمجتمع وليس للثقافة، فيؤكد أن المجتمع يتألف من أجزاء متداخلة وظيفيا هدفها وصف وتصنيف الأبنية والظواهر المجتمعية، والوصول بالتالي إلى صياغة القوانين العامة التي تحكم الظواهر الاجتماعية.[2]

- الإثنية المنهجية :

وقد عمل هارولد غرفينكل harold garfinkelخلال الستينات على تأسيس ما سمي ب" المنهجية الإثنولوجية" éthnométhodologie لتشكل منهجا تحليليا متميزا في حقلي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وقد راحت الإثنوميثودولوجيا تهتم " بالدراسات الميكروسوسيولوجية، وبالأبحاث الميدانية، .وتركيزها على دراسة التفاصيل الصغيرة، مع إسقاط للتحليل النظري والاستعاضة عنه بالوصف الدقيق للمشهد الميداني مع اهتمام كبير بتفسيره" (3) - ومن خلال كتابه "دراسات في المنهج الإثني " الصادر عام 1967 حاول غرفينكل أن يفهم الطرق التي يعمل بها الأفراد وكيفية تصرفهم خلال المواقف التي تعترضهم في الحياة، بما يملي على عالم الاجتماع والأنثروبولوجي ليرجع إلى

---

[1] النجيحي محمد لبيب: **الأسس الاجتماعية للتربية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، ط4 – 1971،ص97.

[2] سميت شارلوت سيمور – **موسوعة علم الإنسان : المصطلحات والمفاهيم الأساسية** – ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري- المركز القومي للترجمة – القاهرة – ط2- 2009، ص 96.

Scanné avec CamScanner

الفرد ذاته في اتصاله بالعالم الاجتماعي من أجل الفهم، وكان غارفينكل ومن خلال " الإثنية المنهجية " متأثرا إلى حد بعيد بما طرحه "ألفرد شوتز " والذي يمثل تيار الفينومينولوجيا في علم الاجتماع.[1]

لقد اتبع غارفنكل شوتز من خلال منهجية تحليلية تعتمد على محاولة فهم الحياة اليوميةللأفراد، وحاول غارفنكل دراسة المناهج والطرق المستعملة من قبل أفراد المجتمع بغرض بناء وتفسير العالم الاجتماعي، ومن هذا المنطلق كانت مهمة الإثنوميثودولوجيا هي الاهتمام بكيفية تنظيم الفرد لحياته في المجتمع بما يضفي معنى على مختلف الأنشطة التي يقوم بها، " فالباحث الإثنوميثودولوجي" يستفيد من هذه الطرق والأساليب التي يستخدمها أفراد الجماعة من أجل فهم عملية التفاعل الاجتماعي وفهم المعاني المختلفة للفعل الاجتماعي. (1)

ويمكن التفريق بين المنهج الإثنوميثودولوجي وباقي المناهج الوضعية في أن الإثنوميثودولوجيا هي محاولة لفهم أفراد الجماعة من الداخل من خلال تصوراتهم العقلانية التي يكونونها خلال عملية التفاعل مع الآخرين، وكذلك من خلال المعاني الذاتية التي يضفيها هؤلاء الأفراد على أفعالهم، فمحاولة الفهم بالنسبة للباحث من خلال هذه المنهجية تنطلق من هؤلاء الأفراد أنفسهم، من تصوراتهم وأفكارهم ومن مختلف التقنيات والطرق والاستراتيجيات التي يطورونها في حياتهم، (2) هذا الذي يختلف عن المنهجية التقليدية في صورتها الوضعية التي تقصي الفرد في التحليل انتصارا لموضوعية الطرح.[2]

المحاضرة الثامنة

13-تقنيات البحث الميداني:

إذا كانت المعلومات التي تثار حول الشعوب تعتمد على طرق غير علمية (أي لا تعتمد على المنهج العلمي) قبل نهاية القرن التاسع عشر نتيجة الاعتماد على ما يقرره الرحالة والتجار والعسكريون. .الخ، فإنها اتخذت بعد ذلك سبيلا آخر من خلال الدراسة الميدانية للجماعات والشعوب وتطبيق بعض الطرائق العلمية، ولعل أحد أهم الشروط العلمية في الدراسة الانثروبولوجية هو حتمية نزول الباحث على الميدان

---

1 جعفر عبد الوهاب– **البنيوية في الأنثروبولو جيا وموقف سارتر منها**- دار المعارف – الاسكندرية – 1980، ص68.

2 فهيم حسين – **قصة الأنثروبولوجيا**، فصول في تاريخ علم الإنسان – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب – الكويت- عدد98 فبراير 1986، ص101.

Scanné avec CamScanner

وا. قامة ملاحظاته عن ثقافة ونظم المجتمعات المدروسة بشكل مباشر، ولعل أول دراسة ميدانية في هذا العلم حسب بعض الكتابات " هي دراسة بعثة جامعة كمبردج لمنطقة مضايق – توريس- في المحيط الهادي في عامي 1898 و 1899، وترأس العلامة الانجليزي – هادون- تلك البعثة "(1)، رغم أن البعض الأخر يتحدث عن تلك الدراساتالتي قام بها " فرانز بواس " عن " الإسكيمو " بين عامي 1883و 1884، وقد توالت الدراسات على هذا النحو فكانت هناك دراسات ذات قيمة كبيرة لعل أهمها دراسة مالينوفسكي عن قبائل " التروبرياند والتي دامت أربع سنوات (1914- 1918)، حيث كانت هذه الدراسة الأولى التي استخدمت فيها لغة الأهالي وتم من خلالها تقمص طريقة عيشهم وممارسة عاداتهم الاجتماعية.[1]

وبعد هذا فإن أهم الطرق المستخدمة على وجه العموم في البحث الأنثروبولوجي هي :

- الملاحظة بالمشاركة :

وتشير إلى مشاركة الباحث في مختلف النشاطات التي يمارسها أعضاء الجماعة المدروسة، فيتعلم الباحث خلال عيشه وسط هذه الجماعة اللغة التي يتكلمون بها، ويمارس ما يمارسون من نشاطات وعادات، ويلبس نفس اللباس الذي يلبسون، ويحاول أن يبدي السلوكات والتصرفات نفسها التي يسلكونها في حياتهم اليومية، وهذا حتى يكون قريبا منهم فيسهل عليه فهم نمط معيشتهم وتفكيرهم من جهة، وتسهل عليه أيضا تحصيل المعلومات الخاصة بالدراسة، خاصة إذا استطاع أن يشعرهم أنه قريب منهم بما يزيد من ثقتهم به مما يسهل عملية الحصول على المعلومات. (3)

وحسب إيفانز بريتشارد فإن إحدى شروط الملاحظة بالمشاركة أن يقيم الباحث بين الجماعة المدروسة مدة لاتقل عن سنة، يتعلم خلالها لغتهم ويشترك في معظم جوانب حياتهم، كما على الباحث أن يتخلى خلال الدراسة عن قيمه وثقافته قدر المستطاع بغرض تحقيق قدر من الموضوعية، إضافة إلى ضرورة توفر الباحث على نوع من المقدرة على تحمل مشاق العيش وسط الجماعات البدائية.[2]

-المقابلة :

---

[1] حمدان محمد زياد: **الثقافات الاجتماعية المعاصرة** – دار التربية الحديثة – عمان ، الأردن ،1989،ص 99.

[2] كعباش رابح – **الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع** – مخبر علم اجتماع الاتصالجامعة قسنطينة – الجزائر – 2007، ص 68.

Scanné avec CamScanner

وتشير إلى ذلك الحوار اللفظي الذي يتم بين طرفين هما الباحث والمبحوث، حيث يقوم الباحث بتوجيه مجموعة من الأسئلة للمبحوث من أجل الإجابة عليها، ونجد في أدبيات منهجية البحث في العلوم الاجتماعية عموما أن المقابلة قسمان : موجهة وغير موجهة، غير أن النوع الأكثر استخداما في حقل الانثروبولوجيا هو " المقابلة غير الموجهة".

يتم استخدام المقابلة غبر "الموجهة " من خلال مقابلة الباحث لبعض أفراد المجتمع الذين لهم سمعة طيبة والذين لهم خبرة بموضوع البحث، ولهم أيضا اتصال بهذا الموضوع، ويشترط في الباحث أن يعمل على كسب ثقة المبحوثين من أجل الإدلاء بمعلومات غير مزيفة عن الواقع المدروس - وتعرف هذه الطريقة أيضا والتي يتم فيها استخدام أهل الخبرة في معرفة الواقع المدروس بطريقة " الاعتماد على الإخباريين" -، وعليه ألا يعمل على توجيه الإجابة نحو وجهة معينة، ويمكن للباحث استخدام آلات التسجيل بشرط أن يكون قد كسب ثقة المبحوثين، أما إذا أحس أنه لم يكسب ثقتهم بعد فعليه تسجيل الملومات بطريقة لا تثير الشك.[1]

أما عن طريقة المقابلة الموجهة والتي يتم خلالها تحديد مجموعة من الأسئلة في استمارة بحث فإنها نادرة الاستخدام في الدراسات الانثروبولوجية، وهي لاتتناسب مع طبيعة هذه الدراسات لاتصال هذه الأخيرة أكثر بالمجتمعات البدائية التي لا يعرف بعضها القراءة والكتابة من جهة، والتي لم تتعود على مثل هذه الطرق من جهة ثانية، لذلك فإن المقابلة الموجهة هي أكثر اتصالا ببحوث علم الاجتماع الذي يعنى بشكل خاص بالمجتمعات المتمدينة.

-سيرة الحياة :

تستخدم سيرة الحياة بشكل كبير خلال الدراسات الأنثروبولوجية، وسيرة الحياة تعبر عن اتجاه الباحث نحو شخص معين غالبا ما تكون له خبرة ودراية بمجتمع الدراسة طالبا منه أن يروي له قصة أو سيرة حياته، غير أن هذه القصة (السيرة – التاريخ) لا تخص شخص الراوي فقط[2]

---

[1] الشماس عيسى– **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق - 2004.، ص 66.

[2] السويدي محمد – **مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحاته** – المؤسسة الوطنية للكتابالجزائر – ط1 – 1991،ص 105.

Scanné avec CamScanner

ولكن هذا الراوي مدخل لفهم الجماعة التي ينتمي إليها، فهدف سيرة الحياة إذا هو إعادة بناء الواقعالاجتماعي من خلال " قصة أو ترجمة حياة عدة أشخاص بطلها واحد، لأن المترجمين يعملون على مفصلة واقع حياة شخصية داخل محيط اجتماعي معين، وذلك من وجهة نظر شخصية غالبا ما تكون غير بريئة ولا تامة، فقد تتعدد رواياتها من زمن لآخر، كما قد تتعدد فهومها وتأويلاتها" ، وذلك ما يدفع الباحث أن يكون حريصا أكثر في التعامل مع رواية الرواة من خلال بعض التقنيات مثل إعادة المقابلة مع الراوي بعد فترة زمنية أو مقابلة أشخاص آخرين والرجوع لبعض الوثائق إن أمكن ذلك.

وباعتبار سيرة الحياة نوعا من أنواع المقابلة فإنها تخضع لنفس شروط المقابلة من حيث ضرورة توفير الباحث للجو الملائم للمقابلة من خلال بناء الثقة بينه وبين المبحوث، والتصرف بمرونة حتى يتسنى له الحصول على المعلومات اللازمة[1].

- الاختبارات النفسية :

ويستخدم الأنثروبولوجيون بعض الاختبارات النفسية خلال دراساتهم الميدانية من أجل تحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ومن هذه الاختبارات اختبار " رورشاخ" (نسبة إلى مخترعه السويسري هيرمان رورشاخ)، وهو يتكون من عشر لوحات، رسم على كل لوحة صورة مكبرة لنقطة حبر قذف بها على ورقة فاتخذت شكلا غير منتظم، ويطلب من الشخص أن يصف ما يتصوره من أشكال عندما ينظر لكل لوحة، وبناء على هذا يمكن التوصل لتحديد بعض خصائص شخصية الفرد، وتستخدم هذه الطريقة خاصة في مجال الانثروبولوجيا الثقافية وخاصة لدى المهتمين بالعلاقة بين الثقافة والشخصية.[2]

وأخيرا فإن هناك بعض الطرائق الأخرى التي يمكن أن يستعين بها الباحث الانثروبولوجي مثل الملاحظة غير المباشرة من خلال الاعتماد على الوثائق ومختلف الطرائق الدالة على ثقافة الجماعة

---

[1] أبو طالب محمد نجيب - **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لبنان – 2020، ص 144.

[2] Jaques Dumont et Jean- Baptiste Beranian: **L'anthropologie, les dictionnaires Marabout université**, Paris-France, 1972,p69.

Scanné avec CamScanner

المدروسة، لتكون جنبا إلى جنب مع الملاحظة بالمشاركة باعتبارها ملاحظة مباشرة، كما يمكن الإشارة إلى بعض الطرق الأخرى التي يمكن استخدامها في الحقل الانثروبولوجي مثل طريقة " الحالة الفرضية" التي تشير إلى وضع الباحث لافتراضات حول بعض المظاهر التي لا تظهر في الحالات العادية والسعي للتحقق منها في الميدان.

المحاضرة التاسعة

14 -بعض المضامين البحثية في الأنثروبولوجيا و علاقتها بعلم الأثار

تشكل البدائية ثقافة الإنسان الأول وكل الثقافات ما قبل التمدن والتحضر، وهي الشكل الأول للحياة الجماعية التي لم تتطور بعد إلى الحياة الاجتماعية المؤسسية. وهذا ما ميز قيمة البحث العلمي في الحقل الأنثروبولوجي في فهم طبيعة الإنسان. حيث لخصت الأنثروبولوجيا الثقافية خصائص الجماعة البدائية في جمع الطعام والصيد، الأمية، تشابه خب ارت الأفراد، توافر تماسك قوي للجماعة، التجانس في الوظائف، الاكتفاء الذاتي والخضوع للأعارف.[1]

وفي اعتقاد الأنثروبولوجيون، فإن البدائي لا يملك من المفردات والأسماء للأشياء والحيوانات والنباتات إلا ما يستعمله وينتفع به في حياته اليومية الآنية. فالبدائي بهذه النظرة الأنثروبولوجية، غير مبال وغير مهتم ببيئته، ما يجعله جاهلا بها وغير معروفة لديه، لأنها تقع ضمن حاجاته البيولوجية، وأن الن زاع كان حول ما هو ملموس بالدرجة الأولى، لذلك وصفوه بالجهالة والهمجية وانعدام التفكير التجريدي.

لكن في المقابل، يؤكد باحثون آخرون بما لاحظوه من غنى معرفي وثقافي في لغة البدائي، أنه يتميز بقد ارت ذهنية فائقة خاصة في تحديد الخصائص الجنسية للأنواع الحية بدقة وإحكام، والقدرة على تصنيف الأشياء والحيوانات. فالبدائيون بمختلف أصنافهم لديهم معرفة عميقة بمستحض ارت النباتات وهويتها، والثديات ، والطيور والعلاقات التناسلية بينهم. كما يمتلك أطفالهم القدرة على تعيين نوع

---

[1] لوكا فيليب وفاتان جون كلود - **جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية** -ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال الجزائر، ص 28.

- عاصم محمد رزق، **علم الاثاربين النظرية والتطبيق**. مكتبة مدبولي 1996.ص 106

Scanné avec CamScanner

الأشجار بسهولة ودقة، وحتى معرفة أسماء الأسماك وخصائصها. وتدل هذه الخصائص المميزة للبدائي، على اهتمامه بالطبيعة والبيئة البيولوجية والعلاقة الوطيدة بينه وبين العالم الطبيعي والبيولوجي والفيزيائي. فكل هذه الصفات اعتبرها باحثون أنثروبولوجيون، بأنها سمات ارتبطت بعقلية البدائي وإحساساته البيولوجية[1].

ويؤكد الماركسيون أن حياة الإنسان الجماعية الأولى بدأت بسيطرة الملكية الشيوعية الأولى) حيث لم يكن هناك صراع طبقي(، وكانت الجماعات البشرية تعيش في قبائل وتجمعات بشرية حرة ومستقلة تحكمها الق ارابات الدموية، وحسب الماركسيين فهي أطول فترة للبشرية، لكون تلك الأنماط الحياتية لا ت ازل مستمرة لدى بعض القبائل الإفريقية التي لم تتعرض لعوامل المدينة والحضارة. وبذلك فإن الحياة الاقتصادية الصارعية عند الماركسيين لم تبدأ إلا في نظام المدن وظهور الأنظمة، وحتى تقسيم العمل كان مجسدا فقط في الصور البيولوجية. وهذا هو معنى أن أصل الحياة بدون صراع، فالناس كلهم متساوون، لا حاكم ولا محكوم، لا فقير ولا غني، لا مستبد ولا عبيد. فالمجتمع البشري حسب النظرة الماركسية بدأ مع الق ارف البشرية فيالانتقال إلى الملكية الخاصة وإنتاج علاقات الاستغلال واحتكار وسائل الإنتاج.

ومن خلال هذا التوجه الماركسي في وصف البدائية، نصادف تقسيم **دوركايم** للمجتمعات وفق مؤشر التضامن، بمعنى مجتمعات متضامنة ميكانيكي) لا تقبل الانقسام (، أين يكون الأفراد كلهم متماثلون في الوظائف وينتمون إلى نفس المعتقدات والقيم بفضل قوة الوعي الجماعي. وتقابلها مجتمعات التضامن العضوي)الأكثر تطوار وتركيبا(، أين يكون الفرد أكثر قدرة على تمييز ذاته بهوية خاصة، وبالتالي يضعف الوعي الاجتماعي .وهكذا يضع **دوركايم** بعض الأنساق المفهمية كمفاتيح لفهم المجتمعات، مثل التماثل، الأنانية، الانحلال الاجتماعي، الوعي الاجتماعي، التفكك ...إلخ.[2]

وتأسيسا على ذلك، فقد أدرج مفهوم سلوك الإنسان الاقتصادي في الأنثروبولوجيا، حيث أ عتمد هذا المفهوم في أنثروبولوجيا الاقتصاد كموضوعا للبحث من مواضيع الأنثروبولوجيا، خاصة عند

---

[1] خروف حميد و حمساص الربيع – **علم اجتماع الثقافة** – منشورات جامعة منتوريقسنطينة – 2003، ص 93.

[2] Jaques Dumont et Jean- Baptiste Beranian: **L'anthropologie, les dictionnaires Marabout université**, Paris-France, 1972,p77.

Scanné avec CamScanner

الماركسيين من خلال تركيزهم على الاهتمام بتاريخ امتلاك أدوات العيش، والملكية والإستهلاك، وكل ما له علاقة بالإنسان وأنثروبولوجيا الطبيعة، وذلك استنادا لعلاقة الإنسان بالمحيط أو ما يسمى بعلم البيئة الثقافية أو المادية الثقافية[1]

وقد تواصلت هذه الاهتمامات البحثية في الوقوف عند أطروحات الحتمية البيئية وكأنها علاقة سببية .وبالتالي، فإن فهم الإنسان في بداياته، كان مرتبطا بالعلاقة بين الإنسان والبيئة الإيكولوجية والبنى الاجتماعية البدائية. ولعل من أبسط المفاهيم المتداولة في الوضع البدائي، نجد مفهومي التبادلات والهبة والتي ينمذجها **فارنز بواس ومالينوفسكي** في شكل أدوات معرفية لفهم الاقتصاد البدائي وربطه بالسلوك الاقتصادي.

- **الدين**

توضح النظرة الأنثروبولوجية، أن الدين يتشكل من الطقوس والمعتقدات والأع ارف، أي كل ما يمارسه الإنسان من طقوس وسلوكات متكررة سواء بصفة فردية أو جماعية، وذلك بفعل فطري وجداني وفكري. ولقد اعتمدت الد ارسات الأنثروبولوجية على المقاربات الفلسفية لفهم الدين من الجانب العقائدي وكيفية تدين الإنسان.

فالدين عند **هيغل** هو الدين الذاتي النابع من داخل الإنسان، كما عبر عنه بالصورة الأعلى من صور ال وعي بالذات وليس باللاهوتية، لذلك اتصفت الأطروحات البحثية وكأنها أنثروبولوجيا للدين الذاتي. فهو يرى أن الاعتقاد بالله هو نتيجة ضعف الإنسان وفقره ، وقد أجبره ذلك على تخيل كائن يعلوه ويتبعه ويخضع له ،بحيث أضفى عليه صفاته الجوهرية التي تنازل عنها. وفلسفيا، فإن ذات الإنسان قذفت بجوهرها خارجا، وتشكلت بذلك عادات الذات للتأمل والتعبد، فالله هو تموضع لجوهر إنساني ونشأ بذلك ما يسميه الفلاسفة بالاغتراب الديني، من حيث هو الانفصال بين الإنسان كذات فعلية طبيعية تتميز بمشاعر الأخوة والمحبة ،والإنسان كذات مثالية جوهرية متجسدة في الإله.

---

[1] وصفي عاطف – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشربيروت - لبنان – 1999،ص 83.

Scanné avec CamScanner

إن الطبيعة عند **فيورباخ** كذات متعالية يحتاجها الإنسان في قضاء حاجاته الضرورية وتلبية ش ؤونه الحياتية، وهو ما جعله تابعا لها، فأصبحت الطبيعة هي الذات المعبودة المفضلة لدى الإنسان التابع. والدين عند **نيتشه** فهو خطابا غيبيا غير حقيقيا، يتجلى في شكل ظاهرة اجتماعية سببها التداعيات السيكولوجية التي تتعلق بالخوف والحاجة. وما عبادة الإنسان للإله إلا لجوءا لقوى غيبية ماوارئية بحثا فيها عن الحماية. فالحاجة هي التي دفعت بالإنسان إلى ابتكار الطقوس والشعائر الدينية لنيل رضا الآلهة.[1]

والإنسان حسب **نيتشة** هو كائن ضعيف مستسلم يشعر دائما بالخوف خارج نطاق إ اردته، بحيث تخلى عن إ اردته الفاعلة القوية، وعن مركز قواه الغريزية بمجرد انتمائه للإله الذي ساقه لحياة العدم، وهو سر تخلف المجتمعات الدينية التي تحتقر الحياة والغريزة.[2]

وعموما، فإن هذه الصور الموصوفة في تناول الظاهرة الدينية، لم تكن مقتصرة فحسب على المقاربات الفلسفية، بل تجاوزتها أيضا في أفكار علم الاجتماع وعلم النفس. فأصل الدين عند **دوركايم** هو الطوطمية الأست ارلية*، **فالمانا** بوصفها ترمز إلى قوة مجهولة لدى الأست ارليين، فهي توجد في كل الموجودات غير الشخصية، ما جعلها مقدسة وتصبح هي المجتمع ذاته.[3]

المانا هي رمز وحدة المجتمع وقوة غيبية ضاربة في الأعماق، فهي الشكل الأول للدين، بحيث أسس عليها **دو ركايم** نظريته في الاندماج الاجتماعي. ونجد أن الدين في التحليل النفسي قريب أيضا من المقاربات الفلسفية والبيولوجية، حيث أن **يونغ وفروم** يعتب ارنه ظاهرة إنسانية عامة تتعلق بمعتقد الكل الجمعي والشخصي، فلا يوجد إنسان خارج الظاهرة الدينية. وممن تعمق أكثر في هذه التفسي

---

[1] . محمد، **العلوم الإنسانية والأيديولوجيا**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 وقيدي،2011، ص 84.

2. نفس المرجع، ص 85.

[3] 27.النجيحي محمد لبيب: **الأسس الاجتماعية للتربية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة،ط4 – 1971،ص 96.

Scanné avec CamScanner

ارت النفسية للدين ،**سيقموند فرويد** الذي يرى من خلال عقدة أوديب، أن الدين هو العصاب البشري للوسواس الناتج عن الوهم والخيال.

مما سبق نصل إلى أن ملخص هذه الأفكار الفلسفية والبيولوجية والسيكولوجية حول الدين، قد تطورتمناهجها الامبريقية وتشكلت في تخصصات علمية أكاديمية سميت بعلم النفس الديني، علم الاجتماع الديني[1]

وأنثروبولوجيا الدين وتأسيسا على ذلك، وضع الدين كظاهرة اجتماعية تدخل ضمن الد ارسات النقدية، وتصنف ضمن التفكير العلمي. وبالرجوع إلى الدين في الأنساق النظرية للأنثروبولوجيا، فهو الدين الأنثروبولوجي بوصفه نسقا من المعتقدات والممارسات التعبدية الخاصة بالنوع الإنساني. وكما يعبر عنه **فوكو** "باللاشعور المعرفي" المميز لعصرهم بوصفه وضعا طارئا في حياة البشر. وبذلك تتعدد وتختلف مواضيع الأنثروبولوجيا حسب التوجهات النظرية المفسرة لها. فبالإضافة إلى تلك الموضوعات، أخذت موضوعات أخرى جوانب مركزية في الأنثروبولوجيا، مثل الطقوس، الطوطم والتابو والأساطير، دون إغفال موضوعين منفردين بالد راسة الأنثروبولوجية وهما **التربية والثقافة**.

والمقصود **بالتربية** هنا، تلك الممارسات النسقية الثقافية في شكل عفوي وتلقائي، والتي عادة ما تتعلق برعاية نمو الأطفال، أو كما تعرفها **مارغريت ميد** بأنها فعل تعريف الأجيال بالتراث.[1]

وبالنسبة **للثقافة** فهي الموضوع المركزي في الد ارسات الأنثروبولوجية العلمية وكمدخل رئيسي من مداخل فهم الإنسان.

- الحكم والسلطة

---

[1] . Gerald Gaillard: **Dictionnaire des éthnologues et d'anthropologues**, ed Armand, ParisFrance, 1997p65

Scanné avec CamScanner

من المواضيع الهامة التي استهدفت الباحثين الأنثروبولوجيين لفهم السلوك السياسي بوصفه سلوكا إنسانيا في ضوء ما يعرف بالأنثروبولوجيا السياسية كفرع تطبيقي وموضوع مركزي في الحقل الأنثروبولوجي السياسي بصفة خاصة.

فالمرحلة البدائية مع السياسة بدأت مع الإنسان البر ي، أو ما يسمى بالتجمعات البشرية البربرية الأولى البعيدة عن صفات الحكم والقيادة.

ويدرج مؤسسوا الأنثروبولوجيا السياسية هذا العلم كفرع من فروع الأنثروبولوجيا العامة ضمن العلوم التطبيقية التي يمكن أن تساهم في الكشف عن طبيعة الإنسان الحقيقية، وبالتالي المزيد من فهم الإنسان وفهم حاجاته أكثر[1].

وباعتبار أن مفاهيم الحكم والسلطة من المفاهيم الاجتماعية، إلا أنها تتجلى أيضا على مستوى السلوك الفردي، بما يوحي أن أصلها ذو نزعة فردية وسيكولوحية. فهي تظهر كفعل غريزي منغرسا في البنية التكوينية للكائن الحي، والتي تشبه الدوافع والحاجات، بمعنى واء كل سلوك سلطة معينة.

ومن مسلمات علم النفس الاجتماعي، أن الجماعة مهما كان نوعها وطبيعة معتقداتها، فهي تؤثر بدرجة كبيرة على الأفراد لشدة التمسك بمعاييرها وبماضيها وبمبادئها. لذلك فهي تميل لفرض سيطرتها عليهم بفضل ما تملكه من سلطة مادية ومعنوية وبنية فكرية، سواء كانت منغلقة أو منفتحة.

فكل أشكال الحكم والسلطة، هي أبرز ما سجلوه الأنثروبولوجيون في كل صيغ الحياة الجماعية للكائنات الحية، وكل النزاعات والصراعات القائمة بينها من أجل القيادة أو السيطرة أو فرض النظام، هي من أجل اتباع قواعده والخضوع إلى قوانينه. حيث نجدها عند الحيوان تكون بفعل علاقة القوة والضعف، وعند الإنسان تكون بعوامل المعرفة. ومهما اختلفت طبيعة هذا الخضوع للحكم والسلطة، فهي تقتضي أن يكون التابع خاضعا، سواء بشكل كلي أو جزئي لسلطة القائد، والذي يعمل بدوره على تصنيف حرية

---

[1] Pierre Tripier et al: **Dictionnaire des sciences humaines-Anthropologie/Sociologie-**, Nathan, 1994, p56

Scanné avec CamScanner

التابع بفضل ما يملكه من استبداد وسيطرة. وقد يتفاقم الوضع وتصل العقوبات إلى التهديد بالقتل والتخلص من التمرد.[1]

وقد أثبتت الد ارسات المؤسسية أن ظاهرة السلطة بوصفها من الظواهر البيروقراطية، فهي مشجعة بإسقاطات **ميكيافيلية**، لما تتضمنه من ضروب السيطرة والتحكم واستخدام أحيانا سلوك المكر والحيلة ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة .

وعموما، فإن من أبرز متغيرات السلطة والحكم في حقل الد ارسات الفلسفية والأنثروبولوجية، هي العلم أو المعرفة. وهذا ما كشفت عنه د ارسة **أفلاطو ن** في نظرية حكم الفيلسوف، أين يتواجد الصراع بين السياسي والمعرفي حول أولوية الحكم واتخاذ الق ارر. وهو ما فتح المجال البحثي في مسألة الشرعية أو المشروعية في أنظمة الحكم، لأنهما تستندان على معايير وقيم جماعية واجتماعية.

وعليه، فإن الأطر الاجتماعية للمعرفة والبحث في العلاقة الجدلية بين الواقع والفكر، هما من أهم مواضيع الد ارسات الأنثروبولوجبة السياسية في شكلها الإداري التنظيمي.[2]

- القرابة ونظام الزواج

تعد الق اربة مفهوما ثقافيا يعبر عن العلاقة بين الأف ارد من أصول عرقية وارثية داخل الأسرة الواحدة، فهي ظاهرة سلوكية إنسانية عامة تتجلى في التمسك بالمعتقدات وحفظ شجرة النسب. كما تمثل نزعة سيكولوجية في الاعتزاز بالذات، فضلا عن كونها مفهوما بيولوجيا سلاليا يتموضع ك اربطة دموية، تعمل على تأسيسالحقل الأنثروبولوجي في فهم طبيعة الإنسان. لذلك كانت الق اربة في مظهرها الأول بيولوجية، لكنها لم تبقعلى حالها البيولوجي فقط، لأن بعدها البيولوجي أفصح عن توجهاته في

---

[1] وصفي عاطف – **الأنثروبولوجيا الثقافية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشربيروت – لبنان – 1971،ص88.

[2] . Woolgar, Steve: **Technology, Social Science Encyclopedia**, 2nd ed, Routledge, London, 1996,p83

Scanné avec CamScanner

ثقافات متنوعة، مثل امتداد اربطةالق اربة عن طريق النسب، وثقافة الطقوس في تقريب الروابط بالرغم من عدم وجود روابط دموية.

دون إغفال اربطة القرابة القائمة على الرضاعة، والتي من خلالها تدرج المحارم في علاقات الزواج، كما نجد أيضا تأثير البعد الثقافي في تحديد مفهوم الق اربة، لأن المفهوم البيولوجي غبر كاف لتحديد معناها ،مما تحول الاهتمام إلى إد ارجه كظاهرة سوسيو-أنثروبولوجية تستهدف بالد ارسة العلمية تطبيق المناهج الامبريقية وفتح الجدال أكثر بين أنصار الحتمية البيولوجية وأنصار الحتمية الاجتماعية الثقافية.[1]

ولقد أجريت العديد من الد ارسات حول القرابة، أهمها التي أجريت في أواخر الربع الثاني من القر ن -تحرك المجتمع البدائي، وأصبحت بذلك تمثل مدخلا مفتاحيا لفهم العلاقات والإرث وغير ها من عناصر الأنساق الق اربية.

وبالتالي، فقد أصبح هذا المفهوم ثقافيا أكثر منه بيولوجيا، فلكل ثقافة نسقها القرابي.

بالنسبة إلى نظام الزواج، فهو يفترض دائما وجود علاقة جنسية، بحيث يعتبر المجتمع تلك العلاقة مباحة بين الزوجين، أين يتم فيها إرضاء الرغبات ومختلف الممارسات الزوجية. والزواج بهذا المعنى، لا يمكن اعتباره مجرد علاقة جنسية، لأنه بمثابة مؤسسة ونظام اجتماعي قائم، يسمح بضمان بقاء واستم اررية المجتمع في حد ذاته، لذلك فهو يقوم على مبدأ الشرعية والقبول الاجتماعي، لأنه بمثابة مشروع بين طرفين، لا يتحقق إلا بعد نيل موافقة المجتمع ومدى التجاوب مع المعايير الاجتماعية.

وبالرجوع إلى إشباع الحاجة الجنسية، فهذا يعمل على التنظيم والتفنن في الممارسة الجنسية، وبالتالي فإن الشرعية والاعتراف الاجتماعي لهذه المؤسسة، يعملان على تنظيم العلاقات والواجبات والمسؤوليات بين كل من الزوج والزوجة، وهذا في إطار الخصوصية الثقافية والاجتماعية لكل مجتمع.

---

[1] . Kilani Mondher: **Introduction à L'Anthropologie**, édition Payot Lusanne, Paris-France, 1996,p54.

Scanné avec CamScanner

كما يعد الزواج مؤسسة اقتصادية تعمل على تأمين المعيشة لحياة الأسرة من طرف الزوج، والذي يلقى بالضرورة درجة معينة من السلطة في تسيير أسرته. وللزواج أيضا وظائف اجتماعية تتجسد في التعاون على تسيير الأسرة وإنجاب الأطفال والتكفل بتربيتهم.[1]

وفيما يتعلق بالإنجاب وشرعية الزواج، فهذه المسألة لا تخص المجتمعات البدائية فقط، بل هي متواجدةلدى أغلبية المجتمعات العربية، تماشيا مع العادات والتقاليد لكل بلد، وتقابلا مع النظرة الدونية للم أرة التي لاتنجب، والتي يكون مصيرها على الأغلب الطلاق، لأنه ينظر إليها على أنها هي المسؤولة د ون الرجل. لذلكفالإنجاب أصبح بمثابة مناسبة يستعرض فيها الزوج) الذكر(وأهله قوتهم، أو يعتبر ذلك شكلا من أشكال الاستثمار للفوز بالرجولة والقدرة على الإنجاب، وفي المقابل تكون الم أرة هي المسؤولة عن الخصوبة والإنجاب. وللإشارة تمارس الأسرة العديد من الطقوس والزيارت للأضرحة من أجل الفوز بالبركات وحل العقد والمشكلات الزوجية. ولكن واقعنا الحالي يثبت أن الزواج أصبح في أغلب المجتمعات يفقد شيئا فشيئا قدسيته.[2]

- الأنساق القيمية

يمثل نسق القيم أحد المظاهر الواضحة في الحياة الاجتماعية البشرية باعتبارها محددات هامة في السلوك، حيث يخصص علماء الأنثروبولوجيا جزءا من اهتماماتهم لد ارسة قيم ومعتقدات الشعوب، نظ ار لأهميتها في تشكيل معايير السلوك التي تمس العلاقات الإنسانية، فهي ضرورة اجتماعية تتغلغل في الأف ارد في شكل اتجاهات ودوافع.

ويشير **وليام كوكرهام** ***William.c. Cockerham*** إلى القيم بوصفها مفاهيم فردية أو جماعية حول ما هو جيد ومرغوب فيه، بحيث تمثل أهداف وضعتها الشعوب والمجتمعات لتؤثر بدورها على وسائل وأهداف السلوك، فهي معيا ار لتقييم الأفعال. ويتفق **كلايد كلاكهو ن** مع ما أكده **ارلف لينتو ن،**

---

[1] النجيحي محمد لبيب: **الأسس الاجتماعية للتربية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرةط4 – 1971، ص85.

[2] Robert Deliège: **Histoire de l'anthropologie**, (Ecoles, Auteurs, Théorie), éditions du seuil, Paris-France, 2006,p66.

Scanné avec CamScanner

في أن القيم عامل جوهري في تحقيق التكامل الثقافي الذي يعتمد على التوجهات القيمية الإنسانية المشتركة.[1]

ولقد ساعدت النظرية الوظيفية على فهم طرق وأساليب التفكير الخاصة بالآخرين، بفضل أبحاثها الميدانية والرغبة في فهم التطور الاجتماعي للثقافات البسيطة. كما كانت د ارسة أنماط التفكير البدائي من الموضوعات المفضلة لدى علماء الأنثروبولوجيا الإنجليز الذين لم يجدوا صعوبة في د ارستها ومعرفة خصائصها وسماتها. ولقد كانت **لابن خلدو ن** محاولات هامة في د ارسة القيم الاقتصادية والاجتماعية، وفي الفصل بين الحقائق الاجتماعية والطبيعية وبين القيم الأخلاقية والمثالية. حيث أكد على ضرورة الفصل بين الحقيقة والخيال وأهمية الشعور بالقيم، ويحرص على أن لا يدمج المفكر الاجتماعي الحقائق بالقيم والأهواء والمصالحالشخصية، لأنه يضر بذلك موضوعية وعقلانية البحث العلمي.

ولقد اهتم العديد من العلماء بالفكر البدائي، أبرزهم **إدوارد تايلور، ريموند فيرث، إميل دوركايم،** هذاالأخير الذي أسس في أوائل القرن العشرين مدرسة الأنثروبولوجيين المعروفة بجماعة حولية علم الاجتماع. حيث اهتم هؤلاء الكتاب الفرنسيون بد ارسة الأفكار التي تحملها الشعوب البدائية عن القيم والعالم حولهم، وقد اعتمدوا في جمع المعلومات على تقارير الرحالة والمبشرين، كما اهتموا بالكل المركب من المعتقدات والمعاني.[2]

واهتمام **إميل دوركايم** بالقيم، كان من خلال تناوله فكرة الضمير الجمعي الذي يشير إلى مجموع العناصر المعرفية والأخلاقية والدينية، فهي تمثل للمجتمع الأسس الوجودية التي يستند عليها لتحقيق وجوده وتطوره. فالقيم ليست مجرد تصوارت عقلية مجردة أو قوالب جامدة، وإنما تمتاز بطابع دينامي محصن بالأفكار والمبادئ الجمعية.

---

[1] . Alan Howard: Internationnal Psychology, **American Anthropologist**, Vol 84, N_{1-2}, U.S.A, 1982,p95

[2] . François Loplantine: **L' anthropologie**, éditions payot et Rivages, Paris- France, 1995,p88.

Scanné avec CamScanner

ولقد كان اهتمام علماء الأنثروبولوجيا بد ارسة القيم متمثلا في اهتماماتهم بد ارسة المجتمعات والثقافات والنظم والسلطة التقليدية والحديثة، حيث توصل **فارنز بواس** إلى عدم وجود اختلاف أساسي في طرق وأساليب التفكير الخاصة بالإنسان البدائي والإنسان المتحضر.

إن د ارسة أنماط التفكير هي بداية اهتمام الأنثروبولوجيين بالقيم، وعندما بحثوا ودرسوا القيم، فقد ركزوا على القيم المشتركة لدى الشعوب المبحوثة. لكن بالمقابل، وضح **جون بيتي** أن اهتمام الأنثروبولوجيون لم يكن محددا في القيم، بل في المفاهيم والأفكار المرتبطة بالأشياء، وليس الأشياء في حد ذاتها، فهم لم يحددوا قيمها الاجتماعية. لذلك فقد كانت القيم المدروسة مرتبطة بمختلف أنماط السلوك المعتاد، وهذا ما فعله بالتحديد **مالينوفسكي** عندما درس نظام الكولا، *كنظام للتبادل الشعائري وهو نظام قديم يوضح طريقة التبادل في المجتمعات البدائية ، وهو نظام خاص من التجارة في حلقة مغلقة يخص تبادل سلعتين ليس لهما أي قيمة أو منفعة عملية، لكن لهما قيمة شعائرية كبيرة لدى تلك المجتمعات .[1]

كما تتطلب عملية د ارسة النسق الانفتاح والتفاعل المستمر مع البيئة، لأن الأنساق تتضمنها احتياجات جوهرية تتطلب الإشباع للمحافظة على استم ارر هذا النسق وبقاءه بشكل متوازن ومنسجم، حيث تتحقق للنسق الاجتماعي حالة التوازن من خلال تلبية وإشباع أجزاءه المختلفة للاحتياجات. وبهذا تكون وظيفة النسق الاجتماعي موزعة بين تحقيق التكامل، الثبات، المحافظة على نمط التفاعل والتكيف. فالقيم تسهم بدور فاعلووظيفي داخل النسق المجتمعي للحفاظ على الجماعة.

-الإنسان والتكنولوجيا

لقد انحصر تفكير الإنسان القديم في استعمال يديه لتلبية حاجاته البيولوجية، ثم طور مها ارته بصنع مواد وأدوات تحميه لمواجهة قسوة الظروف المناخية ومخاطر البيئة الطبيعية. فأصبحت لديه تكنولوجيا صنع الحجر كإشباع أولي لتوفير استم ارر حياته والمحافظة على بقاءه. وتدريجيا تطورت قد ارت هذا

---

[1] Robert Greswell: **Elements d'ethnologie**, Armond colin, Paris-France, 1975,p37.

Scanné avec CamScanner

الإنسان الصانع تكيفا مع المحيط الخارجي وتوافقا مع ثورة التصنيع والتكنولوجيا وظهور البرجوازية والراسمالية المعاصرة، والتي أدت إلى ظهور عالم الإلكترونيات الحديثة.[1]

وقد شملت هذه التكنولوجيا كل الفنون العملية التي تتعلق بالصيد والزارعة وتربية الحيوانات والتعدين وكل ما يشمل وسائل الاتصال وحتى التكنولوجيا العسكرية.

ويحدد **ماكس فيبر** هذه التكنولوجيا في العمليات البيولوجية والطبيعية ثم العمليات السيكولوجية والاجتماعية. فحسبه توجد تقنيات متعددة ومتنوعة لكل نشاط أو لتحقيق أغراض وأهداف إنسانية. فالتكنولوجيا هي إج ارءات ثقافية للتعامل مع البيئة الطبيعية والبيولوجية والكائنات البشرية.

ويشير **ستيف وولجر*Steve Woolger*** إلى أن التكنولوجيا هي الأشياء المادية ومختلف الأنشطة والعمليات المتصلة بصناعة ما، حسب التكنولوجيا المستخدمة والسلوك المرتبط باستخدام الأدوات. كما تتمثل في مجمل المعارف والمها ارت المرتبطة بإنتاج واستخدام مختلف التكنولوجيات والخبرة المتعلقة باستعمال الأدوات، دون إغفال التصوارت الثقافية الدائمة والمستمرة.

وفي نفس هذا السياق المفاهيمي لمفهوم التكنولوجيا، تشير **ديانا كندال *Diana Kendall*** إلى أن التكنولوجيا، تعرف بالأساليب وأدوات المعرفة التي تمكن الإنسان من تحويل الموارد المتاحة إلى صيغ وأشكال صالحة للاستخدام، مع التطوير المستمر لتلك المعارف والمها ارت.[2]

ويتفق كل من رواد علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، أن التكنولوجيا ترتبط بالشعوب البدائية ما قبل التاريخ، وبالمجتمعات التي لم تشهد بعد حركة التصنيع بمعناها الحديث. كما ترتبط بالمجتمعات الصناعية ومختلف العمليات الصناعية والاتصالية الموجهة لإنتاج السلع والخدمات. ويفسرها **سيقموند فرويد** على أنهاامتدادا للأعضاء الفيزيقية للإنسان، فأي شيء يستخدمه الإنسان دون جسمه في الاتصال

---

[1] لوي روبرت – **تاريخ الإثنولوجيا** – من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية – ترجمة نظير جاهل – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر -والتوزيع - - بيروت- ط2- 2007، ص193.

.2. نفس المرجع، ص194.

Scanné avec CamScanner

والتفاعل مع الآخرين، فهو حتميا يستخدم أحد أشكال التكنولوجيا. فالتكنولوجيا هي وسيلة أو أداة لتحقيق غاية أو هدف معين.

وبتعدد واختلاف وجهات النظر حول د ارسة الإنسان والتكنولوجيا، نفهم أن التكنولوجيا تشكل منظومة معارف متمايزة من البسيط إلى المعقد، بحيث يستخدم الإنسان الموارد البيئية في تطبيقاته المعرفية والفكرية، ويقوم بتطويرها والاستفادة منها في المحافظة على بقاءه واستم ارره وتكيفه مع المستجدات البيئية والطبيعية.[1]

لكن الملاحظ في اهتمام الأنثروبولوجيين بد ارسة التكنولوجيا، فقد أشار ***R.Bernard et P.Pelto*** إلى إهمال البحوث الأنثروبولوجية لد ارسة الابتكا ارت والاخت ارعات التكنولوجية وتأثيرها على الأنساق الاجتماعية والثقافية، فالقليل منهم فقط ركز على تحليل أثر هذه الاخت ارعات التي تركز على المعرفة والجوانب المادية .فالأنثروبولوجيون اهتموا فقط ببحث التكيف الإنساني مع المتغي ارت التكنولوجية. وعليه يكون الربط بين التكنولوجيا والإنسان، من خلال المجتمع الذي تحركه زيادة المخرجات التي يسعى إليها، فيحدث تغي ار في تشكيل صفات جديدة وعلاقات وقيم ومعارف وموارد وأساليب جديدة، وذلك بفضل ما يملكه الإنسان من مها ارت وقد ارت لازمة لتشغيل مختلف النظم التكنولوجية وتصميماتها الفنية .[2]

---

[1] Woolgar, Steve: **Technology, Social Science Encyclopedia**, 2nd ed, Routledge, London, 1996,p22.

[2] André Akoun et Pierre Ansart: **Dictionnaire de sociologie**, Coll ; Dixionnaire de Robert, édition Seuil, Paris-France, 1989,p57.

Scanné avec CamScanner

15-تطوير الاهتمامات والتوجهات في الحقل الأنثروبولوجي:

يقترن اصطلاح الأنثروبولوجيا الاجتماعية بالمدرسة البريطانية ودور كل من ***R. Brown*** و***B. Malinoviski*** في تأسيس قواعدها المنهجية، وإث ارء مفاهيم معرفية قد ساهمت في تطوير نظريات وتوجهات الحقل الأنثروبولوجي، والتي من أهمها: البناء الاجتماعي، النسق، النظام، التنظيم الاجتماعي وغيرها من المفاهيم السلوكية والعلائقية. وبالرجوع إلى الأنثروبولوجي المعاصر ***F. Barth***، فقد تميز بالشغف والج أرة في د ارسة تغير الشعوب خاصة البدائية منها، من أجل الوقوف على نماذج التنظيم الاجتماعي والعمليات الاجتماعية.[1]

إن تركيز ***Barth*** على تفسير السلوك غايته رصد السلوك وتتبع مواقفه في ضوء القيم المجتمعية السائدة، والاهتمام بفهم الثقافات والمجتمعات بتنوعها واختلافها، بهدف ربط السلوك بالنشاط القيمي الذي يشمل مجموع الأفكار المرتبطة بالالت ازمات والحقوق المشتركة بين الأف ارد في إطار قيم الثقافة المتعايشة، خاصة في نسق الق اربة بوصفه الممثل الشرعي لقواعد السلوك، وفي إطار الأع ارف والمعتقدات الدينية السائدة. أي في ضوء التوجهات البنائية الوظيفية التقليدية أو ما يعرف بالبناء الاجتماعي في المدرسة البريطانية. كما أن الاهتمام بالنسق يرجع إلى طبيعة المعرفة وتصنيفاتها، لاسيما المرتبطة بالقواعد القانونية داخل الجماعات والمتعلقة مثلا بمركز الشيخ أو الأب وسلطته.

والمهم في هذه التوجهات، هو الاهتمام بالنسق التفاعلي بوصفه النموذج الذي يهتم بمعالجة سلوك الأخرين في النسق الاجتماعي نفسه.[2]

---

[1] عيد بدر يحي مرسي– أصول علم الإنسان – الأنثر وبولوجيا –ج1- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – ط1 - 2007، ص 111.

[2] طالب محمد نجيب - **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لبنان – 2020،ص47.

Scanné avec CamScanner

ويظل تركيز **بارث** ***Barth*** على د ارسة فاعلية التنظيم الاجتماعي، والذي يستلزم بالدرجة الأولى د ارسة الصورة في الحياة الاجتماعية التي تتكون من حلقات تفاعلية اجتماعية متناسقة في السلوك ضمن كم هائل من الأدوار والوظائف التي يقوم بها الفرد.كما اتجه **بارث** إلى د ارسة ومناقشة مفهوم التبادل وتقريبه بالتوجهات التي طرحها السوسيولوجي **هومانز** ***Homans***، والذي يشير إلى إمكانية تفسير السلوك الاجتماعي في إطار علم النفس السلوكي ومبادئ علم الاقتصاد، فكلاهما يحددان السلوك الاجتماعي بفوائده وأرباحه الكمية والنوعية، وكلاهما يختصان بتبادل النشاطات الإنسانية في ضوء المكافأة والتكلفة والمكاسب المحققة. لذا، فإن التفاعل الاجتماعي من خلال هذه التوجهات النظرية هو تبادل للمنافع والخدمات. وكما يرى **هومانز**، فإن[1] موضوع البحث هو السلوك الفعلي والتفاعل بين الأف ارد، فالتبادل لا يتحقق ولا يستمر إلا إذا كان طرفاه يحققان ربحا ضمن سلوك قيمي.وبهذا، يأخذ السلوك التبادلي مكانته إذا كان مرتبطا بالقيم التي تحكمنا في الحياة الواقعية والمقترنةبالأوضاع الاجتماعية. فالمبادلة عند ***Barth*** محددة بالمعايير والقواعد القيمية. وأن التحليل الأنثروبولوجي يجب أن يرتبط بالعمليات الاجتماعية ذات الصيغة العملية، لأن السلوك التبادلي يرتكز أساسا على التفاعلات اليومية الموجهة نحو سلوك التبادل الاجتماعي الذي يوصف بالتفاعل المستمر المنتظم ' [1]وتواصلت التوجهات الفكرية النظرية ل ***Barth*** إلى د ارسة مبدأ التميز الذي يرتكز عليه التحليل الاجتماعي. فهو يؤكد أهمية التدقيق في الحالات الامبريقية مركز حدوث التغير، لأن التغير لا يحدث صدفة أو فجأة، لذلك وجب متابعته بدقة وفق الم ارحل التي تتخلله، من أجل تجهيزه للتكيف المجتمعي. كما تطرق **بارث** إلى توظيف المقارنة المستمرة سواء المعتمدة على نماذج الصورة أو على نماذج العملية. بالنسبة للمقارنة المعتمدة على نماذج الصورة، فهي تعنى بالسمات الأساسية للوحدات الامبريقية موضوع الد ارسة، حيث تشمل المقارنة على تسجيل مختلف التباينات واكتشاف التماثلات المحتملة والمترابطة لإثبات التفسيرات السلبية. أما المقارنة المعتمدة على نماذج العملية، فهي التي تبحث بالتدقيق على معرفة صدق النموذج.[2]

---

[1] لوي روبرت – **تاريخ الإثنولوجيا** – من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية – ترجمة نظير جاهل – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر -والتوزيع - - بيروت- ط2- 2007، ص105.

[2] محمد، **العلوم الإنسانية والأيديولوجيا**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 وقيدي،2011،ص144

Scanné avec CamScanner

- التوجه الثقافي والمعرفي

تشمل النظرة الأنثروبولوجية لمفهوم الثقافة مجمل الت ارث الإنساني، أو هي أسلوب حياة المجتمع، لذلك فقد أ عتبر هذا المفهوم من أكثر المفاهيم تداولا واستخداما، لأنه يتضمن مختلف أنماط السلوك والتنظيم الداخلي للحياة والتفكير والمعاملات المجتمعية القائمة بفعل الاتصال والتفاعل الاجتماعي.

فالثقافة تعبر عن التكوين الفكري والتقدم الفكري للمجتمعات الإنسانية، وهو ما توصلت إليه الأنثروبولوجيا كعلم للثقافة، حيث عرفها الأنثروبولوجي الإنجليزي **إدوارد تايلور** في كتابه الثقافة البدائية 6996م، بأنها تشير بمعناها الإثنوغ ارفي إلى ذلك الكل المركب الذي يشتمل المعارف والمعتقدات والفن والقانون ومختلف التقاليد، وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين.

ولقد تعددت وتنوعت تعاريف الثقافة بتعدد الخلفيات والأطر الاجتماعية والمعرفية للباحثين، مما جعلهاتعكس طبيعة الباحث واهتماماته. لذلك فهي تتميز بالتعقيد والتنوع والتشابك مع السمات المكونة لعناصرها وهناك ثقافات مرنة وأخرى أكثر صلابة، بحيث تسمح المرنة بنفوذ وتغلغل العناصر الثقافية الدخيلة، بينما الأكثر صلابة، تكون أكثر مقاومة خاصة في البيئات ذات الثقافات المحافظة، فالثقافة تشكل الدرع المانع للتحديات التي تواجه المجتمعات الإنسانية.

وتستخدم الكتابات الأنثروبولوجية اصطلاح الثقافة بمعنى واسع يشمل كل إنجا ازت العقل البشري، وكل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو فكر، وكل ما اكتسبه الإنسان من عادات وتقاليد وأساليب للسلوك والقيم التي تسود محيطه المجتمعي[1].

ويوضح لنا تاريخ الثقافات الإنسانية، أن لكل ثقافة جانبين رئيسيين هما: الثقافة المادية، والثقافة اللامادية) المعنوية ، وكلاهما يشكلان أدوار هامة في سلوكاتنا اليومية.

---

[1]. لبيب الطاهر – **سوسيولوجيا الثقافة** – دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية – سوريا،ط37، 1982،ص66

Scanné avec CamScanner

لذلك ترتبط العديد من المصطلحات والمفاهيم بمصطلح الثقافة، وتشترك معها في الكثير من موضوعاتها، ونذكر على سبيل المثال: الثقافات الفرعية، أنماط الثقافة، الاتصال الثقافي، التخلف الثقافي، اكتساب الثقافة، النسبية الثقافية، التماثل الثقافي، أزمة الثقافة، تجمع ثقافي...وغيرها.

ويتجه الفلاسفة العقلانيين إلى أن العقل هو مصدر المعرفة، والنرجسيون يرون أن المصدر يكمن في التجربة الحسية. ولقد حاول **كانط** التوسط بين العقل والتجربة، على أن كل منهما هو مصد ار ضروريا لتوليد المعرفة، أين برزت نظريته للمعرفة.

وحسب الد ارسات الحديثة التي تناولت موضوع المعرفة، فقد تم تصنيفها إلى معرفة حقيقية فعلية، معرفة اتساعية إمكانية، معرفة اطلاعيه شمولية، ومعرفة قصدية عمدية.[1]

ويرى بعض علماء الأنثروبولوجيا ولا سيما اللغويين منهم، أن هناك تناظ ار لغويا بين الثقافة ومعرفة اللغة، إذ أن معرفة الثقافة هي مماثلة لمعرفة اللغة، وكلاهما حقيقتان ذهنيتان. فالهدف من الوصف الإثنوغ ارفي هو كتابة قواعد النحو الثقافية، لأجل ذلك، أصبح علماء الانثروبولوجيا المعرفية مهتمين أكثر بأنساق المصطلحات الثقافية، مثل الق اربة بوصفها وسيلة معرفية للاستفادة من نوعية العلاقات الاجتماعية. وبما أن الت رميز المعرفي أقرب أن يكون لغويا، فقد لجأ الأنثروبولوحيون إلى معرفة الفئات اللغوية وعلاقاتها لكي تكون جزءا مفهميا ومعرفيا من معاني الثقافة، وهذا ما أسموه رواد الأنثروبولوجيا المعرفية بتبادل المعرفة الافتراضية، والتي من خلالها يستطيع الإنسان إضافة المعرفة الإج ارئية للقيام بالوظائف والأدوار في مختلف مجالات أنماط المعيشة.

ويعد الباحث ***F. Barth*** واحدا من أهم وأبرز العلماء المعاصرين، حيث ميز المعرفة بوصفها الوسيلة الرئيسية للثقافة في عدد من كتاباته، مستعملا المعرفة للإشارة فيما يوظفه الإنسان للتفسير والتكيف مع

---

[1] ومبار جاك – **مدخل إلى الإثنولوجيا** – ترجمة حسن قبيسي – المركز الثقافي العربيالدار البيضاء ل– المغرب – ط1-1997،ص103

Scanné avec CamScanner

البيئة المحيطة به. فضلا عن المشاعر والأفكار والمها ارت المتجسدة وبعض النماذج اللفظية الممثلة للنموذج الأولي للثقافة، والذي يسمح بد وره ببناء نماذج ثقافية أخرى بدلا عن الثقافة نفسها.

وملخص أفكاره، أن أي تقليد للمعرفة يجب أن يحتوي على مجموعة من التأكيدات الموضوعية والأفكار الواقعية العالمية. كما يجب أن تكون المعرفة متجسدة ومنقولة، بحيث تحقق التواصل المعرفي، لأنها في الأخير سيتم توزيعها ونقلها وتوظيفها وتحويلها ضمن سلسلة من العلاقات الاجتماعية المنظمة.

ومن خلال هذه التفسيرات العلائقية للثقافة والمعرفة، تمكن علماء الأنثروبولوجيا وعلم النفس الثقافي من اكتساب طريقة لتفكير الإنسان في مواقف الحياة الفعلية، وصياغة منظور آخر للثقافة بوصفها ممثلة للمعرفة، اعتبا ار بأن المعرفة الثقافية تتوزع اجتماعيا.[1]

- اهتمام المجال الأنثروبولوجي بالطعام

اتجهت الأنثروبولوجيا نحو تطوير موضوعاتها الأكاديمية التي اهتمت بالق اربة والزواج والسحر والطقوس الدينية وتطور الأنظمة الاجتماعية والثقافية، وكان الطعام وأنواعه وأساليب تناوله وطقوسه أحد أهم الموضوعات التي ساهمت في توسيع المعرفة في الحقل الأنثروبولوجي.

لقد تطرق الباحث **ريمون فيرث *R. Firth*** في كتابه عناصر التنظيم الاجتماعي، إلى أنه يمكن د ارسة الطعام في عدة مجالات، أهمها المجال التكنولوجي، الاقتصادي، الأخلاقي ،الشعائري، الجمالي والاقت راني .فالمجال التكنولوجي يكون بإعداد الطعام أو بمدى كفاية طبخه، وينطبق المجال الاقتصادي على قيمة الطعام لأغ ارض التبادل، أما ملائمة تناول الطعام في الوقت الذي يعاني فيه الفق ارء من الجوع ،فيختص به المجال الأخلاقي كمعيار قيمي. وحين يتصل الطعام بالمجال الشعائري، تتحدد أنواع الأطعمة المسموح تناولها وفقا للانتماءات الدينية. حيث يحرم لحم البقر عند الهندوس مثل، الخنزير عند المسلمين ...إلخ، ويطبق المعيار الجمالي على الطريقة التي يقدم بها الطعام، بما يتضمنه من ألوان

---

[1] كعباش رابح – **الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع** – مخبر علم اجتماع الاتصالجامعة قسنطينة – الجزائر – 2007.ص202

Scanné avec CamScanner

وأشكال ونكهات الأطعمة. أما تأثير القيمة في العلاقات الاجتماعية، فيخلص بها المحلل الأنثربولوجي إلى تتميز عملية تناول الطعام معا بأهميتها وقيمتهاالبالغة بالنسبة لتفاعل العلاقات الاجتماعية [1]

وفي عام 6816م كتب ليفي ستروس **L. Strauss** عن الطعام النيء والمطبوخ، حيث ربط النيء بالطبيعة، والمطبوخ بالثقافة. فالإنسان يأكل جزءا من طعامه مطهيا، وأن استخدامه للنار في الطهي هو ما يميزه عن الآخرين. لذلك من الضروري معادلة الشيء-المطبوخ بالطبيعة-الثقافة. بمعنى أن نمط السلوك الغذائي يمثل الثقافة التي حملت البشر بعيدا عن عالم الأشياء الطبيعية إلى حالة اللغات المنطوقة ثقافيا، وأن تعلم الطهي هو من وظيفة الدماغ البشري. وهذا ما يعرف بأنثروبولوجية الطعام والتي تناولها العديد من الأنثروبولوجيين.

لقد أوضح منتز **S.W. Mintz** في كتابه " تذوق الطعام، تذوق الحرية " أهمية إعادة تشكيل الثقافة والهوية الثقافية، وأن ذوق الطعام يتأثر بذوق الأشياء، حيث أن العديد من الأطعمة التي يتناولها الإنسان تكون بهدف تعلم المزيد عن العبيد.

وما يميز توجهات الأنثروبولوجيين في د ارسة الطعام والمواد الغذائية، أنها أخذت منحى منهجي أو بعدين رئيسيين، هما أنثروبولوجيا الطعام، وأنثروبولوجيا اليات التغذية. حيث ترتكز أنثروبولوجيا الطعام على التحليلات الرمزية والبنائية للطعام، أما اليات التغذية فهي تعبر عن النظرة الإيكولوجية الموجهة للسلوك البشري والمتطلبات الغذائية تكيفا مع البيئة الفيزيقية والاجتماعية.

---

[1] الجوهري محمد واخرون – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية – قضايا الموضوع والمنهج** – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 2004.ص28

Scanné avec CamScanner

كما أعطت هذه التوجهات الأنثروبولوجية دوار ثقافيا أساسيا للطعام في بناء العلاقات الاجتماعية وترسيخ الأنماط الثقافية، حيث يمثل ذلك ترسيخا لعضوية الجماعة، وفي تحديد الجماعة وتمايزها عن بعضها البعض.[1]

ويناقش بعض الباحثين موضوع توازن الهوية المحلية للعولمة التي تشير إلى الكيفية التي تعيد العالمية بها تأسيس الواقع المحلي.

وخلال عام 6892م، برزت لمسات الطعام على الأكلات الشائعة وعلى تقسيم عمل الأسرة، الصوم ، الهوية الوطنية وغيرها من المواضيع ذات الدلالات الثقافية في أساليب الطعام.)3(وبعدها، اتجهت الأبحاث حول التعمق في د ارسة الطعام والطقوس الدينية، من خلال العلاقة بين الدين والطعام، فالدين يقدم هيكلا لبناء المعنى، ويعكس مدى حاجة البشر للنظام. وفي المقابل، فإن الطعام غالبا ما يلعب دوار واضحا في تفسيروظيفة الدين بوصفه رم از للدين والطقوس والأعراف، لأن الطقوس والمعتقدات المحيطة بالطعام تعمل على تدعيم الحدود الدينية.[2]

وهناك من الأبحاث ما تتعلق بالطعام والدواء، فحسب المعالجات الأنثروبولوجية المتعددة والمختلفة التوجهات، فالحياة مليئة بالأفكار المجسدة ثقافيا عن الطعام وآلياته وطرق تناوله وما هو مرغوب وغير مرغوب، وهذا تكيفا وموائمتا مع المواقف الشخصية والاجتماعية. فمثلا أن ضعف الشهية هو علامة على المرض، وفي المقابل، فإن الشهية الجيدة هي رمزا للشفاء، وهذا ما يفسر تحديد المجال الثقافي للصحة. لذلك تؤخذ في الاعتبار كل التعليمات الغذائية للحفاظ على الصحة وعلاج الأم ارض. كما يجب تنظيم كمية الطعام اليومية لأجل الحصول على جسم صحي سليم من المرض. وثقافتنا الإسلامية تزودنا بشواهد كثيرة مقتبسة من القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي تشرح وتفسر السلامة الصحية.وعلى مستوى ثقافات الشعوب، نجد أن العلاج بالطعام هو وسيلة

1.لوكا فيليب وفاتان جون كلود - **جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية** -ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال الجزائر.ص15

2 السويدي محمد – **مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحاته** – المؤسسة الوطنية للكتابالجزائر – ط1 – 1991.ص115

Scanné avec CamScanner

مهمة لدى الكثير من المجتمعات البشرية، مثل المطبخ الصيني الذي يحقق التوازن بين المواد الغذائية الساخنة والباردة لمعالجة الخلل في النظام الغذائي. حيث يشكل الطعام للجسم وتنظيم تناوله مانعا أكيدا لأي خطر جسدي. وهذا ما وضحته د ارسة **ماري دوغلاس** عن الطهارة والخطر، أين تم بتحليل مفاهيم التلوث والمحرمات.[1]فالقيود التي تفرضها الثقافات على بعض خصائص الطعام، ما هي إلا تعبيرا عن الحفاظ على سلامة الشعوب ومنع الخطر عنهم، فمثلا في **هونغ كونغ** فإن الم أرة الحامل تتناول فقط سلسلة محددة من أنواع الطعام البارد، كالموز والبطيخ، وعدم تناول المحار لإثارته الحساسية في الجلد، ومنع تناول سرطان البحر لما يسببه من مشاكل جلدية تؤثر سلبيا على صحة الطفل. كما أن تناول الطعام الداكن يؤثر على بشرة الطفل في حصوله على اللون الداكن للبشرة...، وغيرها من الطقوس الثقافية لتناول الطعام الصحي.[2]وعموما، فقد قدمت هذه التوجهات النظرية وصفا إثنوجارفيا للد ارسات التي أنجزها الأنثروبولوجيون في المجال الاصطلاحي للطعام

---

[1] دليو فضيل – المنهج البيوغرافي : استعمال السير الذاتية والحياتية في علم الاجتماع ضمن كتاب جماعي بعنوان: **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية** – منشورات جامعة منتوري – قسنطينة – 1999.ص62

[2] .خروف حميد و جصاص الربيع – **علم اجتماع الثقافة** – منشورات جامعة منتوريقسنطينة – 2003،ص144

Scanné avec CamScanner

المحاضرة العاشرة

16- الاتجاهات النظرية ودراسة الثقافات الإنسانية (المدارس و الفروع و التخصصات و العلوم المساعدة لعلم الآثار)

يتمكن الأنثروبولوجي من تحقيق الوصف الدقيق لمظاهر الحياة البشرية والحضارية، من خلال معايشة الجماعات المدروسة وتسجيل سلوكياتهم وتعاملاتهم في الحياة اليومية. مما يتسنى له بلوغ واقع هذه الجماعات والتعرف على تطورها الحضاري استنادا إلى أصول التغيير التي مرّ بها الإنسان داخل هذه الجماعات، ويتحقق ذلك في إطار الرجوع إلى التاريخ الإنساني وربطه بالحاضر واستخلاص العناصر المختلفة في التغيير المحدد.[1]

حينئذ يصل الباحث الأنثروبولوجي إلى استنتاج مؤشرات وتوقعات التغيير المحتملة في الظواهر الإنسانية والحضارية، والتنبؤ بمستقبل الجماعات المدروسة.

ومن خلال هذا الوصف الدقيق للكائنات البشرية، فقد تحقق ما يسمى بفلسفة علم الأنثروبولوجيا وأهدافها، بفضل التوسع في دراساتها. وبالرغم من ذلك، إلا أن الأنثروبولوجيا لا تزال محافظة على اهتماماتها التقليدية في وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، وهو ما يميزها عن باقي العلوم الأخرى.

- الامبريقية في الحقل المعرفي الأنثروبولوجي

لقد اكتفت الأنثروبولوجيا بالدراسات الميدانية الحقلية في نطاق ما يسمى حاليا بالمنهج العلمي الموضوعي القائم على الأساليب الامبريقية في فهم الظواهر كما هي موجودة في الواقع، بعيدا عن كل التفسير التأملي الميتافيزيقية والفلسفية.

---

[1] بريتشارد إيفانز – **الإناسة المجتمعية – دياتة البدائيين في نظريات الأناسين** – ترجمة حسن قبيسي – دار الحداثة – بيروت – لبنان – ط1- 1986.ص52

Scanné avec CamScanner

ولفهم تطبيقات المنهج الامبريقي على الظواهر الأنثروبولوجية، فهذا يتطلب تطبيق النقد الإبستمولوجي للمنهج الوصفي والبحث في مبرارت تطبيقه على ظواهر الإنسان ومتغي ارته. بمعنى د ارسة الإنسان ككائن موجود باتساق منظم مع الطبيعة، تحكمه قوانين وحتميات تخضع لقواعد ثابتة.[1]

وبتأثير هذه النزعة الحسية الامبريقية، شكلت العلوم الإنسانية والاجتماعية لنفسها قاعدة علمية واقعية وموضوعية في اتجاه نفعي وتطوري، لا يقل أهمية عن دور العلوم الطبيعية في فهم الظواهر الاجتماعية والتحكم فيها وتوجيهها، وهذا ما تثبته التطبيقات التكنولوجية الحديثة بملازمتها في تقدم العلوم الإنسانية والاجتماعية. الأمر الذي شجّع وحفز أكثر المتخصصين في ميدان هذه العلوم، بالالتزام أكثر بالمنهج العلمي وتطبيقاته وتطوير آلياته بما يتماشى وطبيعة الظواهر المدروسة، استنادا إلى التأسيس العلمي لها كتخصصات علمية أكاديمية في الجامعات والمعاهد العليا.

فالارتقاء بالد ارسات إلى المستوى العلمي وتصنيفها ضمن العلوم، مرتبط بضرورة تطبيق المنهج العلمي، لإخضاع الظواهر للدقة المطلوبة في رصد الحقائق. وهذا هو مسعى الد ارسات الأنثروبولوجية لتحفظ وتعزز مكانتها ضمن العلوم الإنسانية.

وعلى الرغم من المشكلات والصعوبات التي تعترض التطبيقات العلمية للتقنيات المنهجية الامبريقية، فقد أثبتت الد ارسات الأنثروبولوجية المستوى العلمي في اكتشاف القوانين والتعميم والتنظير وتفسيارت التماثل والتشابه، بما يؤهلها إلى مرحلة التنبؤ العلمي والتوزع منهجيا بين التأمل العقلي والبحث النظري، واعتماد التحليلات والتفسي ارت الواقعية ضمن رؤية موضوعية علمية ومنطقية وبفعل الضغوطات الامبريقية، استخلص بعض علماء الانثروبولوجيا بأن ظهور الإنسان العاقل هو نتيجة لتنظيم اجتماعي معقد، أو هو حصيلة الفكر والجسد والجماعة والأدوات، وهو ما يتطلب الملاحظة،

---

[1] سرحان محمد المرسي: **في اجتماعيات التربية** – دار النهضة العربية للطباعة و النشربيروت ، لبنان – ط3 – 1981.ص121

Scanné avec CamScanner

وهذا ما يجعل الد ارسات الأنثروبولوجية تتميز بالخصوصية الثقافية، بحيث لا يستطيع الباحث تأويل الظاهرة إلا بمعايشتها ضمن سياقها الثقافي المحلي.[1]

ومما سبق واعتبا ار بأن التنظيم هو عملية بنائية منهجية ابستمولوجية تجريدية، فلا نستطيع إسقاط كلمة علم على د ارسات أولية ناشئة يجريها باحثون، إلا بعد إنجاز المرحلة التنظيرية التي تسبق اكتشاف القوانين. فلكل علم نظرياته الخاصة التي يستعين بها الباحث في تفسير متغي ارت الظواهر وعلاقاتها ووظائفها وعوامل انتشارها وتطورها.

كما أن التتويج النظري للعلوم ليس اكتشافا مثله مثل القوانين التي تحكم الظواهر عن طريق الحدس العلمي أو تجارب امبريقية، كما هو الحال في القوانين الفيزيائية والبيولوجية وغيرها من علوم المادة. فالوضع مختلف بالنسبة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، لأن التنظير هو بناء معرفي متغير ومتحول عبر سيرورة من العمليات المنهجية الإد اركية، وهي عوامل ذاتية تتأثر بذاتية المنظّر وتختلف من حيث درجة النسبية في الدقة العلمية. دون إغفال قابلية الظواهر للإد ارك الكلي والاستيعاب المنهجي وأدواته المنطقية والامبريقية.[2]

وبالرجوع إلى التاريخ المؤسس للأنثروبولوجيا، فقد انطلقت جهود التنظير العلمي في بناء نظريات ترتكز على معطيات امبريقية وفكرية ومنهجية، وذلك بفضل ما رصده باحثي الأنثروبولوجيا من نظريات

---

[1] كعباش رابح – **الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع** – مخبر علم اجتماع الاتصالجامعة قسنطينة – الجزائر – 2007.ص83

[2] Robert Deliège: **Histoire de l'anthropologie**, (Ecoles, Auteurs, Théorie), éditions du seuil, Paris-France, 2006,p64.

Scanné avec CamScanner

تختلف توجهاتها الفكرية في تفسير الإنسان كنوع، والحضا ارت والثقافات كإنجاز إنساني. ومن أهم هذه النظريات الانتشارية، التطورية والوظيفية.

وبالرجوع إلى التطور التاريخي للمنهج العلمي، فقد انبثق عن الفلسفة الأم على يد **فرنسيس بيكو ن وديكارت**، حيث حاول **ديكارت** تقديم نموذج لخطة سير العملية، مرك از على أن النظام هو سر كل شيء، وهذا ما يجبرنا على تجميع الوقائع واخت ازنها وتفسيرها بتبصر وفقا لقوانين محددة. لذلك فهو مقتنع بأن العلم في صميمه، هو الكشف عن العلاقات التي يمكن التعبير عنها تعبي ار رياضيا. بمعنى أن المنهج هو نسقا من القواعد الواضحة والإج ارءات التي يستند إليها الباحث في سبيل الوصول إلى نتائج علمية، فوظيفته لا تقتصر على تطبيق الإج ارءات والقواعد المنهجية المستمدة من النظرية، وإنما هو تطبيق للنظرية وتسهيل الاتصال العلمي بين الباحثين. وهذا هو جوهر التنظير كعملية بنائية منهجية أساساها دقة السيرورة المنهجية المطبقة في د ارسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية.[1]

- طبيعة المنهج البحثي الأ نثروبولوجي

بتعدد الد ارسات الأنثروبولوجية واختلاف فروعها، يلجأ علماء الأنثروبولوجيا إلى استخدام مناهج بحث متعددة وأساليب مختلفة لجمع المعطيات والمعلومات. فمنها ما يشترك فيها الأنثروبولوجي مع غيره من الباحثين في الد ارسات الإنسانية مثل علم النفس، علم الاجتماع وعلم الاقتصاد. ومنها ما هو خاص تنفرد به الأنثروبولوجيا وخاصة الأنثروبولوجيا البيولوجية، أين يستخدم فيها الباحث المنهج التجريبي والملاحظة العلمية الدقيقة. لذلك تمتاز الد ارسات الأنثروبولوجية بالتاربط والتكامل والنظرة الشاملة للظواهر الإنسانية والاجتماعية، فالباحث يفسر الحقائق الأنثروبولوجية على أساس ت اربطها وتشابكها ببعضها البعض.

ومن أهم الاستخدامات المنهجية البحثية:[2]

---

[1] لوي روبرت – **تاريخ الإثنولوجيا** – من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية – ترجمة نظير جاهل – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - - بيروت- ط2- 2007، ص105.

[2] Kendall, Diana: **Sociology in our Times**, Wadsworth Publishing- co, London,1996,p99.

Scanné avec CamScanner

أ- **طريقة المنهج الإثنوغرافي:** من أشهر المناهج استخداما في الحصول على معلومات دقيقة حول الظاهرة المدروسة، فالباحث يجمع المعلومات والبيانات حول الظاهرة الاجتماعية من واقع الميدان ذاته، من أجل التحديد الدقيق لمجال البحث والكشف عن تفاصيل الظاهرة وخفاياها بكل موضوعية. هذه الموضوعية هي نتاج تلك الرحلات والملاحظة بالمشاركة للميدان أو للنظم الاجتماعية الم ارد د ارستها، والتي مكنت الباحث الأنثروبولوجي من الفهم الدقيق للعلاقات والعادات والتقاليد والمعتقدات والشعائر، وهذا ما كان يطلق عليه آنذاك بطريقة البحث العقلي. وعليه، فإن الد ارسة الإثنوغ ارفية تعتمد بدرجة كبيرة على الملاحظة العلمية التي تنقسم بدورها إلى:

- **الملاحظة بالمشاركة:** هي طريقة علمية مباشرة للوصول إلى المعلومة الدقيقة، حيث تهتم بصفة خاصة

بد ارسة المجتمعات البدائية من حيث عناصرها العرقية أو السلالية، أصولها الثقافية، ديناتها، الخ. ممايتطلب من الباحث أن يكون قد تلقى تدريبا دقيقا حول أساليب التفكير العلمي الهادفة إلى اكتشاف الحقائق العلمية والقوانين الدقيقة التي تحكم العلاقات الاجتماعية. فضلا عن تحليه بصفات الباحث العلمي التي تميز ميدان بحثه، مثل دقة الملاحظة، الصبر، عدم التسرع في استخلاص النتائج، الابتعاد عن الذاتية في التخاطب مع المبحوثين، والذي يتطلب منه أن يكون متقنا للغتهم أو يستعين بوسيط من أعضاء مجتمع الد ارسة ممن تتوفر لديهم الدقة والموضوعية والأمانة في توصيل المعلومة. لذلك فالباحث ملزما بتسجيل المعل ومات فور الحصول عليها، تجنبا للنسيان أو إضافة معلومات خاطئة. فعملية جمع المعلومات والبيانات والمعطيات، تتطلب من الباحث الاستعانة بمختلف الوسائل المساعدة في الجمع والتصنيف والجدولة. والأمر المهم أثناء هذه العمليات المنهجية، أن تتم بطريقة تلقائية، بحيث لا يشعر المبحوثين بأنهم م ارقبين أو مقصودين، وهنا يعتمد الباحث الأنثروب ولوجي على جدول البحث الاستقصائي، والذي بدوره يحوي مواصفات تلزم على الباحث اتباعها والتقيد بها، مثلا تجنب الصياغة اللغوية الغامضة مع أفضلية استخدام الألفاظ المتد اولة.[1]

---

[1] Robert Deliège: **Histoire de l'anthropologie**, (Ecoles, Auteurs, Théorie), éditions du seuil, Paris-France, 2006,p60.

Scanné avec CamScanner

وتجدر الإشارة إلى أهمية استعانة الباحث بالأسئلة المعدة من قبل الإثنوغ ارفيين، والتي تحوي نماذج لأسئلة تتناول كافة المعلومات المرشدة والموجهة للقيام بالد ارسات الأنثروبولوجية.

وبعد عملية جمع المعلومات والبيانات، يقوم الباحث بعمليات التبويب والتصنيف إلى مجموعات متجانسة وتطبيق الأساليب الإحصائية المساعدة في الحصول على الاستنتاجات المطلوبة، والتي تمكن الباحث من تصنيف بعض النظم الاجتماعية إلى أنماط محددة.[1]

- **الملاحظة غير المباشرة**: تعتمد هذه التقنية الإثنوغ ارفية على جمع المعلومات من مصادر أخرى، مثـ لمؤلفات الباحثين والد ارسات السابقة والاعتماد على ملاحظات ومشاهدات الرحالة. لكن مثل هذه المصادر تلزم الباحث أن يقوم بالتدقيق فيها والإحاطة بها، لفهم ما تحتويه من معلومات واستبعاد المصادر المشكوك في مصداقيتها، خاصة عندما يتعلق بغير المتخصصين في موضوع الد ارسة، لأن هذه المصادر متعددة ومتنوعة الأصناف والأشكال، فهي قد تكون مكتوبة أو مروية ومسموع عنها، أو تكون مستنبطة من الأساطير والفلكلور الشعبي، ومن العادات والمعتقدات وكل ما تحويه من آداب السلوك المجتمعي.

- **الملاحظة بالمشاركة**: تتطابق مع تقنية الملاحظة المباشرة، ويطلق عليها المختصون العديد من التسميات، مثل طريقة الملاحظة غير النظامية أو الطريقة الكلية أو طريقة التداخل الوظيفي. فجوهر هذه التقنية هو الدور الذي يقوم به الباحث وهو في ميدان الد ارسة، بمعنى أن الباحث يسعى جاهدا للحصول المعلومات الواقعية والصحيحة المتعلقة بالظاهرة المدروسة، بحيث يعمل بموضوعية على فهم طبيعة على البناءالاجتماعي والثقافة الاجتماعية. ودوره هنا يتحدد في المعايشة الفعلية لأفراد المجتمع المبحوث وتصوارتهم، بما يساعده ذلك على الكتابة اليومية والمباشرة للتقارير المتضمنة كل ما يلاحظه من دقيق الأمور.[2]

---

[1] لوي روبرت – **تاريخ الإثنولوجيا** – من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية – ترجمة نظير جاهل – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر -والتوزيع - - بيروت- ط2- 2007، ص100.

[2] . Francois Laplantine: **L'anthropologie**, édition Seghers, Petite bibliothèque payot, ParisFrance, 2007,p59.

Scanné avec CamScanner

- **طريقة المقابلة**: منهجية جد مهمة في الد ارسات الأنثروبولوجية، تتضمن أسئلة دقيقة حول الظاهرة المدروسة، وهي إما أن تكون موجهة أو غير موجهة. حيث تعتمد المقابلة الموجهة على عدد من الأسئلة في شكل استمارة تحوي أسئلة مصاغة بدقة وترتبط مفاهيمها بصورة مباشرة بالموضوع، ويفضل أن تدرج فيها الأسئلة الاحتمالية لتسهيل تفريغها في جداول، ثم يقوم الباحث بق ارءة الأسئلة للمبحوث، ويترك له حرية الإجابة عنها.

أما المقابلة غير الموجهة، فهي تعتمد على مقابلة بعض الأف ارد البارزين والمشهورين، وممن يتمتعون بسمعة طيبة بين أف ارد المجتمع المبحوث. لذلك فالباحث يلجأ إلى كسب ثقة هؤلاء الأفراد وتوطيد الجانب العلائقي معهم، بما يسمح بالحصول على حقائق ومعلومات دقيقة وصحيحة. إذ يتيح لهم فرصة الإجابات المطولة عن التساؤلات المطروحة، لكن دون تدخل منه، بحيث لا يعترض إجاباتهم ولا يعطي إيحاء بالإجابات، ويجعلهم أكثر استرسالا في الحديث. وهنا يستطيع الباحث تسجيل كل ما يحدث مع المبحوث، باستعمال مختلف الوسائل الحديثة المساعدة على التسجيل.[1]

وفي حالة الشعور بانزعاج المبحوث، فعلى الباحث فقط أخذ النقاط الأساسية والخطوط العريضة، وفي نفس الوقت تطبيق تقنية المقابلة. ويمكن للباحث استخدام طريقة أخرى تعتمد على **السيرة التاريخية**، والتي تحتوي على تدوين أهم الأحداث التي يمر بها أفراد مجتمع الد ارسة. حيث يطلب الباحث من المبحوث سرد تاريخ حياته مثلا منذ أن كان طفلا إلى تلك الساعة التي يتواجد فيها معه. وهذا يتطلب من الباحث تشكيل علاقة جيدة وثقة حسنة للتصريح بالمعلومات الصادقة.

والطريقة التي يمكن أن يتأكد فيها الباحث من مصداقية هذه السيرة التاريخية، هو القيام بمقارنة المعل ومات المجمعة للتأكد من صحتها والأخذ بالمعلومات المتداولة أكثر والمتفق عليها من قبل المبحوثين وعموما فطريقة السيرة التاريخية هي مفيدة وذات أهمية بالغة لدى الأنثروبولوجيين المهتمين بد ارسة الثقافة الشخصية أو بالتحديد المختصين في الأنثروبولوجيا السيكولوجية.

---

[1] Robert Deliège: **Histoire de l'anthropologie**, (Ecoles, Auteurs, Théorie), éditions du seuil, Paris-France, 2006,p27.

Scanné avec CamScanner

وتوجد طريقة اربعة، وهي طريقة **المقارنة** الهادفة إلى الحصول على د ارسات ميدانية متعددة، وهي أقرب إلى الطريقة العقلية التحليلية للباحثين الأنثروبولوجيين. حيث يصل فيها الباحث إلى تعميمات دقيقة.

من خلال الاعتماد على عدد من الد ارسات وليس من خلال د ارسة واحدة، لأن كل د ارسة تفتح مجالاتبحثية أوسع للمقارنة والتحليل بين النظم الاجتماعية والأنساق الثقافية. فطريقة المقارنة تمكّن الباحث من تحقيق الفهم الكلي للبناء الاجتماعي والكشف عن الوظائف الاجتماعية للنظم الاجتماعية ومختلف التأثي ارت المتبادلة بين هذه الوظائف والنظم.

وكما سبق، فالاعتماد على د ارسات متعددة ومتنوعة، جعل معظم الأنثروبولوجيين يقترحون تطبيق المنهج التجريبي المقار ن، للتحقق من صحة ومصداقية النتائج تجريبيا، وذلك لمطابقتها بنتائج د راسات مشابهة، تمكن الباحث من استخلاص قوانين ومبادئ عامة.[1]

---

[1] . George Balandier: **Political Anthropology**, Peuguin Books, Middlesex- England, 1970,p84.

Scanné avec CamScanner

-تحليل الاتجاهات النظرية ودارسة الثقافات الإنسانية

من خلال التاريخ المؤسس للأنثروبولوجيا، انطلقت جهود التنظير العلمي في بناء نظريات شاملةلمعطيات امبريقية وفكرية ومنهجية تفسيرية، بحيث تفرّقت وتعدّدت في اتجاهات ونظريات أهمها التطورية، الانتشارية، البنائية الوظيفية والنفسية.[1]

- الاتجاه التطوري الاجتماعي

نبدأ بالطرح **الداروينـي** الذي يشير إلى أن الاستم ارر وبقاء المخلوقات في ظل التغي ارت والتحولات البيئية، يتطلب حتمية التكيف مع الظروف الجديدة، من خلال صفات وقد ارت تسمح لها بتحقيق الموائمة البيئية الضرورية للاستم ارر والبقاء ومقاومة التغي ارت الخارجية. وبذلك فإن الأكثر قدرة واستعدادا هم الذين يصمدون وغير معرضون للزوال، فالتطور هو التغير للتكيف الأحسن مع المحيط.

وهذا ما يفسر خضوع الكائنات العضوية إلى مبادئ التطور والتكيف والصراع من أجل البقاء. ويستند **تشارلز داروين *Charles Darwin*** إلى مجموعة عوامل مؤثرة في عملية التطور الاجتماعي، أهمها: التحول، التوالد، التنازع على البقاء والبقاء للأقوى. حيث طبقت هذه المبادئ في تفسير نشأة وظهور النظم الاجتماعية، أين حاول علماء الاجتماع والأنثروبولوجيون تطبيقها على الإنسان العاقل لمعرفة م ارحله التطورية.[2]

وبصورة عامة تم تدعيم هذه الأفكار ضمن الأبحاث العلمية التي أوضحت أن الحياة قد نشأت من البسيط إلى المعقد، فهي لم تنشأ دفعة واحدة، والإنسان قد نشأ في سيرورة هذا التطور العضوي عبر البعد الزمني، خاصة فيما يتعلق بصفاته الهيكلية والمظهرية الشكلية.

---

21. Turner, Janathan: **The structure of sociological theory**, the dorcy press, homeword,p122 [1]

Alan Howard: Internationnal Psychology, **American Anthropologist**, Vol 84, N_{1-2}, U.S.A, [2] .1982,p120

Scanné avec CamScanner

لقد تأثر أنصار الاتجاه التطوري بالتطور الأحيائي في الجوانب الثقافية والمادية والروحية، بحيث ربطوا بين عناصر الثقافة وبين مؤسساتها بشكل كلي، لكون الثقافة تشكل كيانا متكامل الأج ازء. لذلك من الضروري حسبهم المقارنة بين الثقافات البشرية عن طريق نظم تطورها أو مقارنة مؤسساتها ببعضها البعض، لأن البشرية لا تسير في وتيرة واحدة خلال عملية التطور الثقافي، وإنما في اتجاه متباين. لذلك فإن التنوع الثقافي بين الشعوب هو تطوري، الأمر الذي يلزم الشعوب الأقل تطو ار في المستوى الثقافي، أن تلحق في فترة غير بعيدة زمنيا بالشعوب المتقدمة، لأن التقدم نحو الأفضل هو الغاية الأساسية من التطور العضوي والثقافي عند الإنسان ويتمسك التطوريون الثقافيون الاجتماعيون بفكره أن البشر جميعا متساوون في وحدة التفكير والسلوك رغم اختلاف انتماءاتهم السلالية والثقافية. فكل الثقافات الإنسانية محكوم عليها بالتطور، وأن الفروقات البشرية هي نتاجا للأوساط الطبيعية والجغرافية.[1]

لذلك، فإن فكرة التطور الحضاري هي تطو ار خطيا عموديا تصاعديا لما أنجزه الإنسان عبر م ارحل حضارية مميزة بخصائصها، فالإنسان واحد في تركيبته وتكوينه النفسي والبيولوجي منذ أن وجد وتطور كمجم وعات بشرية أولى متماثلة ومتطابقة. والاختلافات في القد ارت والذكاء هي مرتبطة باختلاف المعطيات الوارثية وأصل السلالات، وبالتالي لا مجال للق ول بالحتمية التاريخية، مادامت هناك إمكانية حدوث الوضعية الحضارية في أي فترة زمنية.

م Lewis *Henry Morgan*)5885-5858لويس هنري مو رغان .

أنثروبولوجي ومحامي، بدأت د ارسته على سكان الشمال الشرقي الأمريكي) الإيروكيز (الأصليون، حيث لاحظ فيها بعد العديد من الزيا ارت، انتشار النظام الأمومي القرابي، الأمر الذي جعله يستفسر من المبشرين عن أشكال الأنظمة الق اربية في المجتمعات التي يقومون في النشر فيها، فتمكن من المقارنة بين 960 نظاما قرابيا في العالم.[2]

ومن أهم إسهاماته خاصة من خلال زيا ارته الميدانية، أنه اكتشف تناقضا في العلاقات الق اربية وواقعها الفعلي لدى الإيروكيز، إذ أن أبناء العم والعمة في هذا المجتمع، يطلق عليهم أشقاء وشقيقات.

---

[2] . Ralph Linton: **Le fondement culturel de la personnalité**, Bordas, Paris-France,1973,p103.

Scanné avec CamScanner

أما أبناء الخال والخالة، فيسمون أبناء العم. الأمر الذي جعله يقوم بتحقيقات ي ارجع فيها نظام الق اربة ومصطلحاته، كما سبق في 960 مجتمعا في العالم. وتوصل إلى أن أغلب الأنماط الق اربية السائدة في المجتمعات الأخرى كانت موجودة ومنتشرة في مرحلة سابقة للوجود البشري ثم انقرضت. وبناء على ذلك، أعاد بناء تطور النظام القرابي على أربعة مراحل.[1]

اتسمت المرحلة الأولى بعدم وجود نظام للمحرمات، فالإخوة والأخوات والأبناء والأولاد كانوا أزواجا وزوجات، بمعنى سيادة الاختلاط الجنسي في شكل قطيع بدائي. وكانت المرحلة الثانية هي بداية تحريم الزواج من الفروع والأصول مع استم اررية من الإخوة والأخوات، بحيث يتماثلون كأزواج وزوجات. لكنه تم منع هذا الز واج المختلط للإخوة والاخوات في المرحلة الثالثة، لكن من نسل الأم فقط ليمتد بعد ذلك للإخوة والأخوات من جميع الحواشي، وبذلك يصبح الرجال أزواجا لنساء لسن أخوات والنساء زوجات لرجال ليسوا إخوة، مع بقاء النسل من جهة الأم، وهو النمط المنتشر في مجتمع الإيروكيز. وتأتي المرحلة ال اربعة، أين تحول النسب من الأم إلى الأب، نتيجة ظهور نظام تربية المواشي والزارعة وتحول الملكية إلى ال رجل، فانتقل المجتمع من النظامالأمومي إلى النظام الأبوي. ومع تطور هذا النظام، برز النظام الزواجي الحديث[2]

وعموما، فإنّ ما يميّز **لويس هنر ي مورغان**، أنّه معاينا مباش ار لعادات السكان المحليين، بما ساعدهذلك على تأكيد فكرة الأصل المشترك، خاصة فيما يتعلق بالب ارهين التي جمعها واستخلصها من مصطلحات القرابة، والتي رتبها إلى مجموعتين: أنساق الق اربة غير الأحيانية، بمعنى معرفة اجتماعية، وأنساق مقاربة وصفية. وحسبه، فإن تاريخ البشرية قد مز بثلاثة م ارحل متتالية هي الهمجية، البربرية والحضارة، وذلك من خلال أو بفعل التغي ارت التقنية والاقتصادية والتحولات المؤسساتية. لكن أفكاره هذه لاقت العديد من الانتقادات أهمها اعتماده على التخمين دون حجج أكيدة. فضلا عن مبالغته في وصف وتصنيف الشعوب.

أما إسهاماته فيما يتعلق بتطور المجتمعات الإنسانية، فقد أدرجها في ثلاثة م ارحل، حيث تمثل كل مرحلة نمطا ثقافيا تقاس على أساسه أشكال العلاقات والنظم السائدة، وحسب اعتقاده، فإن كل المجتمعات

1

2

Scanné avec CamScanner

تمر بنفس السيرورة المرحلية التي رسمها لتطور المجتمعات البشرية. فضلا عن أن كل مرحلة تحوي بداخلها م ارحلها الفرعية الخاصة بها.[1]

-ير ى **لويس هنري مورغان** أن بداية هذا التطور تكون مع مرحلة التوحش أو الهمجية، والتي يصنفها إلى مرحلة توحش دنيا-وسطى-عليا. حيث تمثل مرحلة التوحش الدنيا الطفولة الإنسانية الشبيهة بالحياة الحيوانية، أين كان الطفل يتغذى على النباتات والثمار التي يلتقطها ويجمعها، وهي غير متواجدة حاليا. ثم تأتي مرحلة التوحش الوسطى، وهي أكثر تقدما من الأولى، أين بدأ يكتشف هذا الكائن الحي الطبيعة واستغلالها لتلبية حاجاته البيولوجية من أجل المحافظة على بقاءه، مثل اكتشاف النار واستعمالها لطهي الطعام وإنارة كهوفهم. ثم تطور أكثر في مرحلة التوحش العليا، والتي اكتشف فيها كيفية الاعتماد على نفسه وتحقيق تكيفه مع البيئة المحيطة به، فأصبح يصطاد طعامه بنفسه، وانتقل من جامع للطعام إلى منتج لغذائه.[2]

ومن مرحلة التوحش إلى مرحلة البرب رية التي انتقل فيها الإنسان إلى إبداعات جديدة في الإنتاج والتصنيع، وبالتالي الخروج من عزلته وتشكيل الجماعات الاجتماعية. وهي بدورها تنقسم إلى مرحلة بربرية دنيا، وسطى، عليا. ففي المرحلة البربرية الدنيا بدأ بصناعة الفخار وطوّر إبداعاته للتكيف وتحقيق أكبر تفاعلات جماعية ممكنة. ثم انتقل إلى المرحلة البربرية الوسطى التي تخصص فيها بصناعة الآلات والأدوات المعدنية وبداية الكتابة الصورية، والتي تحولت فيما بعد في المرحلة البربرية العليا إلى كتابة حرفية تسجل فيهامختلف الصيغ الكلامية الإبداعية لهذا الإنسان.[3]

ومن التوحش والبربرية إلى المرحلة المدنية، أين تم اخت ارع الحروف والكتابة والفن والصناعة. وتتواجدهذه المرحلة لحد الآن، والممثلة خاصة في أوروبا.

وبهذا تكون هذه المرحلة هي آخر مراحل الانسان حسب **لويس هنري مورغان**.

---

[1] لوكا فيليب وفاتان جون كلود - **جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية** -ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال الجزائر،ص27

[2] الجوهري محمد وآخرون – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية – قضايا الموضوع والمنهج** – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 2004،ص100.

[3] Austin: **Anthropologie linguistique**, Flammarion, 1976,p62.

Scanné avec CamScanner

م2121-2381 Edward *Burnett Taylor*)إدوارد برنت تايلور، ذكره علماء النفس والمؤرخين والفلاسفة وعلماء الحياة وكل المهتمين بالسلوك والفكر البدائي، بما عزز أهميته في الحقل الأنثروبولوجي. لقد ركز **تايلور** على الطريقة المقارنة بين بيئات مختلفة بفعل العوامل التطورية. كان شغوفا لد ارسة الثقافة في قلب المدن الكبرى، فضلا عن شهرته بالج أرة والتميز مقارنة مع من سبقوه في الحقل الأنثروبولوجي، بحيث ساعده شغفه وميوله العلمي والمعرفي على الخوض في العديد من المسائل غير المتناولة من طرف علماء الأناسة.

تعتبر أعماله ومجهوداته المتميزة والموهوبة، بمثابة ثورة في حقل العلوم الاجتماعية بصفة عامة، والأنثروبولوجيا بصفة خاصة. حيث مهدت مجهوداته وثرا ءه المعرفي في التأسيس العلمي لعلم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، كما يرجع الفضل أيضا في هذا التأسيس العلمي للعديد من الرحالة والباحثين.[1]

تناول **تايلور** بالتفصيل تطور المعتقدات الدينية، حيث توصل في د ارساته وأبحاثه إلى أن الإنسان الأست ارلي يؤمن بوجود الجسد والروح، وعند الموت تبقى الروح حية. وبالتالي، فالإنسان لجأ إلى معرفة الروح من خلال بحثه وتساؤله عن الفرق بين حالة الإنسان وهو نائم وبين حالته وهو مستيقظا، وما هو الفرق بين الموت والحياة؟، وما هي الأسباب التي تكمن في الأحلام؟ وما الفرق بين حالتي الإنسان في الحزن أو الفرح؟ فمثل هذه التساؤلات أدت إلى الاعتقاد بوجود روح وجسد للإنسان، وتعدى الأمر إلى الإيمان بالأرواح لدى جميع الكائنات الحية وغير الحية.[2]

وينقسم الإيمان بالأرواح في أري **تايلور** إلى مرحلتين أساسيتين هما: مرحلة الإيمان بالأرواح الدنيا، والتي تعني باستم ارر الروح بعد الموت، فهي ترتبط بطبيعة الأعمال التي قام بها قبل مماته. ومرحلة الإيمان بالأرواح العليا، أين يعتقد الإنسان بأن روحه هي المسؤولة عن أعماله في حياته بعد الموت. وهذا ما يفسر ما مرت به مرحلة التطور الثقافي الروحي، بحيث ميزها **تايلور** حسب المعتقدات الدينية

---

[1] الشماس عيسى– **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق - 2004.ص103

[2]

Scanné avec CamScanner

إلى ثلاث فترات مرحلية، تبدأ بالإيمان بالأرواح وقدسيتها، ثم الإيمان بتعدد الآلهة) لكل قبيلة إله خاص بها (، وبعدها مرحلة الإيمان بإله واحد قادر على كل شيء.

ومن خلال مؤلفه" الثقافة البدائية"، فقد عرّف الثقافة ككل معقد بضم المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وط ارئق عيش الإنسان في المجتمع.

فالثقافة هي عنصر أساسي في فهم تاريخ الإنسان كظاهرة تاريخية تميّزه عن غيره ويتعلمها من مجتمعه، فهي انعكاسا لتطوره داخل المجتمع ضمن عاداته وتقاليده. وبهذا يكون **تايلور** من الأوائل الذين أدخلوا مفهوم الثقافة بمعناها الواسع للأنثروبولوجيا، متجاوز بذلك المعنى الضيق الذي يقصي كل ش ارئح المجتمع، فالثقافة حسبه هي دائما ثقافة جماعة- مجتمع.

وعلى ضوء هذا التحليل الثقافي، توصل **تايلور** إلى نمو الثقافة التي أخذت في الانتشار من خلال الأدوات المنتشرة في المجتمعات القديمة. بمعنى أن ما نتعلمه من جي ارننا على حد تعبيره، أكبر مما تخترعه بأنفسنا وبأيدينا. فالفخار مصدره المكسيك، لكنه انتشر في أمريكا، القوس والسهم والشطرنج مصدرهم الهند ثم انتشروا في أمريكا والمكسيك. لكن ما يلاحظ على هذه التحليلات، أنها متناقضة مع انتماءاته، ف أريه أقرب إلى النزعة الانتشارية.) وهو كغيره من التطوريين، درس نظام القرابة والكوفادة*(. حيث بحث فيما يسميه بنظام الزواج الاغت اربي المحلي ونظام الزواج من نسب الأم) ابن الخال والخالة.[1]

وبالرغم من تبنيه النزعة التطورية في الانتقال من البسيط إلى المعقد ومن الاتجاه السفلي إلى الاتجاه العلوي، ومن اللامعقول إلى المعقول، إلا أنه يعترف بوجود ستاتيكا نسبية في هذا التطور تمنع حدوث التغي ارت المطلوبة، خاصة ما اكتشفه في النظام الأمومي والأبوي. فبالرغم من أن النظام الأمومي أقدم من الأبوي، لكن يوجد بينهما نظام وسيط يختلط فيه النظامين، وهو نظام الكوفادة الذي يعكس بقايا النظام القديم في مضامين النظام الجديد السائد.

---

[1] الجوهري محمد وآخرون – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية – قضايا الموضوع والمنهج** – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 2004.

Scanné avec CamScanner

ومما يلاحظ على مساهمات **تايلور** في مجالات علم الإنسان، انه لم يذكر آليات تطور النظم الاجتماعية أو كيفيات هذا التحول التاريخي. كما أنه لم يتقيد بالنزعة العلمية الموضوعية في د ارسة المعتقدات الدينية.[1]

يعتبره البعض خاتمة العلماء الأنثروبولوجيين الكلاسيكيين الذين اشتهروا بكتاباتهم في فلكلور الشعوب والدين المقارن، فقد مثل أحد أهم الحقبات التاريخية التي تطورت فيها الد ارسات الأنثروبولوجية. عيّن سنة 6803م أستاذا للأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة ليفربول *Liverpool*، لكنه بعد فصل دارسي واحد عاد إلى كيمبردج التي ارتبط اسمه بها حتى وفاته.

اتسم تفكيره بالاتساع والشمول ضمن تكوين علمي موسوعي شمل علوم الطبيعة والأحياء، اللغات الكلاسيكية والقديمة مثل اليونانية واللاتينية، كما درس التاريخ والفن والآداب.[2]

خلف **جيمس فاريزر** إنتاجا علميا ضخما، أين تأسست شهرته في مؤلفه الكلاسيكي الشهير"الغصن الذهني "6980م والذي تضمن د ارسة في السحر والدين، حيث عرض فيه نظرية التطور لأساليب التفكير والفكر السحري التأليفي بالمقابل مع الفكر العلمي التحليلي.

لقد تركزت نظريته في السحر وفي تطور المجتمعات عبر السحر والدين والعلم، مستدلا بضعف الإنسان وقصوره في السيطرة على الطبيعة في بداية الأمر، وبعدها اعتمد الانسان على الألهة ليتمكن من السيطرة على الطبيعة، وهنا فقد سبق العقل الديني على العقل السحري، مما كلفه ذلك العديد من الانتقادات.فالسحر في أريه هو علم مسبق يشبه العلم المزيف.

وفي هذا السياق، فإن **ابن خلدو ن** قد سبقه في القول بأن السحر هو علم وفن، لما يحتويه من تقدمات وطرائق تتطلب قد ارت ومهارات. وبالرغم من الجدل الكبير حول هذه المقارنة بين الدين والسحر وفي تفسير الفروقات من طرف العديد من العلماء، إلا أن أبحاث **جيمس فاريزر** كانت بمثابة موسوعة علمية جعلته من أهم رواد الفكر الأنثروب ولوجي ،فقد تعددت مجالاته البحثية في مختلف المجالات

---

[1] دليو فضيل – المنهج البيوغرافي : استعمال السير الذاتية والحياتية في علم الاجتماع ضمن كتاب جماعي بعنوان: **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية** – منشورات جامعة منتوري – قسنطينة – 1999.ص144

[2]

Scanné avec CamScanner

الإنسانية والمعرفية ذات الصلة الوثيقة بالبحث الميداني. وتبقى قيمته المعرفية في تطوير البحث الميداني متجسدة، بفضل كثرة وتعدد رحلاته وأسفاره إلى مختلف أنحاء العالم.[1]

وبفضل هذا الانبعاث العلمي نحو التطور، يكون للتطورية الفضل في تصحيح المفهوم الخاطئ الذي كان سائدا لدى الإثنول وجيين خاصة بين السلالة والحضارة. وتبعا للتحليل التطوري للحضارة، فلا يمكن عزل التطور التكنولوجي عن التطور الاجتماعي، حيث سجل تاريخ المجتمعات تطوار تكنولوجيا ملموسا في الأنظمة المجتمعية، وفي المقابل، سجل أيضا قصو ار وعوائق في التطور التكنولوجي لأنظمة مجتمعية أخ رى، بما يؤثر ذلك على النمو الحضاري.

لذلك، فإن علاقة التأثير المتبادلة بين تطوير التكنولوجيا وتطور المجتمع هي علاقة ثابتة، ولكنها غير متساوية من حيث درجة التأثير، لأن التطور هو حقيقة تاريخية حضارية تشمل جميع الأمم والشعوب والحضارات.[2]

لكن هذه المغالاة لرواد هذا الاتجاه في فهم الحضا ارت القديمة والحديثة، والبحث في تكويناتها وتطورها، جعل منه عاملا شموليا وإقصائيا للعوامل الأخرى التي تؤكدها الحقائق التاريخية.

- الاتجاه الانتشاري

هو رد فعل مناهض للأفكار التطورية، برز لتفسير عمليات التغير الحضاري لتاريخ الإنسان، حيث افترض المناهضون للتطور، أن الاتصال بين الشعوب المختلفة ينتج عنه بالضرورة احتكاكا ثقافيا وعملية انتشار لبعض أو كل السمات الحضارية لمختلف الشعوب في إطار عملية تطورية، وهو ما ركز عليه ارئد المدرسة الجغ ارفية الألمانية **فريدريك ارتازل**، حول أهمية الاتصالات والعلاقات الحضارية بين الشعوب ودورها في النمو الحضاري[3].

---

[1] دليو فضيل – المنهج البيوغرافي : استعمال السير الذاتية والحياتية في علم الاجتماع ضمن كتاب جماعي بعنوان: **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية** – منشورات جامعة منتوري – قسنطينة – 1999.ص120

[2] كوبان جان : **المسح الإتنولوجي الميداني**، ترجمة: لاوند جبيدة ، معهد الدراسات الاستراتيجية بيروت لبنان 2007.ص 95.

[3] الشماس عيسى– **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق - 2004.،ص115

Scanné avec CamScanner

ومن أهم مبادئ الانتشاريين، أن انتشار أي عنصر يتطلب توافر الاحتكاك والوقت، مما يساهم ذلك في انتشار بعض العادات والتقاليد وغيرها من المظاهر الثقافية. بمعنى انتقال نظام أو نموذج ثقافي من مجتمع لآخر ، مع الأخذ في الاعتبار الحواجز المانعة لهذا الانتشار والتي نجملها في الحواجز الطبيعية)العزلة في الصح ارء أو الجبال أو البحار(، وحواجز اجتماعية خاصة بالانتشار الثقافي الديني والعقائدي.

كما تتوقف سرعة الانتشار على حجم المجتمع ومساحته ومدى تأثيره بالمجتمع الذي يحتك به، دون إغفال أنواع أخرى من الانتشار، مثل الانتشار التعمدي أو المقصود) نشر ثقافة المستعمر على المحتل، والانتشار بالصدفة بفعل التأثر بمجتمع آخر. ولا نهمل أيضا أهمية العوامل النفسية في فرض حواجز الانتشار الثقافي، فهي من أهم الحواجز المقاومة لانتشار العناصر الثقافية، لكونها متوقفة على مدى تقبل

البيئات الثقافية المعنية بالانتشار واستقبال الثقافة الخارجية. وفي المقابل، فهي ترتبط بالخصوصية الثقافيةوأهمية الاستعدادات النفسية والاجتماعية.[1]

ومن أهم ما تركز عليه الانتشارية، أن نمو المجتمعات يتم بفعل الاحتكاكات الثقافية بين الشعوب، أكثر من التقليد والمحاكاة، وأن النمو مرتبط بالإبداع والإضافة والتعديل.

ومن خلال أسلوب التتبع التاريخي لنشأة النظم الاجتماعية والثقافية، يؤكد الانتشاريون أن لكل نظام اجتماعي وثقافي بدايات وأصول انتشرت منه، وانتقلت إلى مختلف المجتمعات بفعل الاحتكاك والهجرة والتواصل بين الشعوب رغم فقدانها لبعض خصائصها عند امتزاجها بثقافات أخرى محلية.

وفيما يتعلق بالسمات الثقافية، يعتبرها **فارنز بواس** الملقب بالثقافوي، مجرد ابتكا رات وحيدة وحقائق عقلية مستقلة عن التطور الفيزيائي، مما جعلها تبتعد عن النهج التطور ي مسافات.[2]

---

[1] Austin: **Anthropologie linguistique**, Flammarion, 1976,p103.

[2] . شاكر سليم – قاموس **الأنثروبولوجيا (أنجليزي ، عربي)** – جامعة الكويت- ط1-1981،ص65

Scanné avec CamScanner

وتأسيسا على ذلك، يؤكد الانتشاريون أن لكل شعب ت ارثه الثقافي المميز له، وأن التطور الثقافي ليس خطيا، وليس بالضرورة أن تكون هناك حتمية لوج ود علاقة في التطور بين التكنولوجيا والنظام الثقافي. فكثي ار ما يوجد نظاما ثقافيا متطوار، دون حضور تكنولوجيا متطورة. وهي الأفكار التي قادت الانتشاريين إلى اكتشاف الدوائر الثقافية الأولى المركزية وتتبع انتشارها من المركز. وعليه فالانتشار الحضاري يكون من وإلى المجتمعات. وهنا يبرز بوضوح أن السعي إلى إيجاد حلقات وصل بين الحضا ارت والعلاقات الت اربطية والبحث في العوامل التاريخية، هو المنهج المفضل لدى الانتشاريين، والذي يقودهم حسب أريهم إلى البرهنة على أن كل الحضا ارت صادرة عن مجتمعات معينة موحدة.

لكن هذا التوجه الانتشاري، قد أهمل الفارق الزمني بين الحضا ارت، بحيث دخلت المدارس الانتشارية في حرب المصطلحات والألفاظ وتوغلت في التنظيم الذي أبعدها كثي ار عن الواقعية.

وعلى الرغم من الوجهة الإيجابية لهجرة الحضا ارت وانتقالها من مكان لآخر كمسلمة أسست عليها الانتشارية مقولاتها، إلا أنها تنطوي على وجهة سلبية أخرى، تمثلت في تضييق الفرص لإنماء حضا ارت أخرى بديلة مستقلة.[1]

وتتلخص مدارس هذا الاتجاه في ثلاث مدارس: المدرسة البريطانية، والمدرسة الألمانية والنمساوية، والمدرسة الأمريكية.، فالمدرسة الأولى) البريطانية (عرفت بأحادية المنشأ، ومن أبرز ممثليها **إليوت سميث** ***Smith Grafton Elliot***)6936-6873م(، الذي ركز أبحاثه على الآثار القديمة والهياكل البشرية. فحسبه أن أصل الثقافات هو الثقافة المصرية القديمة، وبتوفر الظروف الملائمة وزيادة الاتصالات، انتقلت وتوزعت إلى باقي المجتمعات العالمية الأخر ى. وقد وضح أفكاره هذه في مؤلفه" هجرة الحضارات" عام 6866م، كما برز **وليام جيمس بيري** ***William James Perry***)6999-6828م(مساندا لفكرة أحادية المنشأ في كتابه " أطفال الشمس"، والذي شرح فيه أن الحضارة

---

[1] -Austin: **Anthropologie linguistique**, Flammarion, 1976,p44.

5. - كوبان جان : المسح الإتنولوجي الميداني، ترجمة: لاوند جهيدة ، معهد الدراسات الاستراتيجية بيروت لبنان 2007.ص 51.

Scanné avec CamScanner

المصرية هي مركز انتشار الحضارات. وفي نفس هذا الاتجاه، نجد الأنثروبولوجي البريطاني **وليام هالس ريفرز** ***William Halse Rivers***)6912- 6899م.

وبعد أحادية المنشأ، تظهر المدرسة الألمانية والنمساوية بفكرة تعددية المنشأ، والتي تعتقد في وجود م أركز متعددة لنشأة السمات الثقافية في العالم، بحيث تنشأ من خلالها سمات مشتركة. وحسبه أنه من هذه الم أركز قد انطلقت الثقافات وانتشرت عالميا. وكلما اقتربنا من إحدى هذه المراكز، تزداد معها وحدة وكثافة هذه السمات. ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه **فريدريك ارتزل** *Fridirik* ***Ratzel***)2311-2191م (صاحب كتاب الجغ ارفية السياسية، والذي اعتمد فيه على المنهج الجغ ارفي التاريخي في تحليل فهم الثقافات وتطورها عبر الاتصالات والتبادلات الثقافية. حيث يرى أن الزارعة تعود أصولها للفأس أو المح ارث، مما أسهم ذلك في تعدد أشكال الثقافة الزارعية في العالم. كما ترجع إليه فكرة الحدود البيولوجية التي تنتهي فيها عملية الاستعمار أين تنتهي مصالح تلك الدول. وأيضا صاحب فكرة الحدود الشفافة التي توجد فيها دولة داخل حدود دولة أخر ى لخدمة مصالحها دون استعمار مباشر.[1]

ونجد رواد آخرين أمثال **كلارك دفيد ويسلر**)6930-6823م (، الذي طور مفهوم الدائرة الثقافية إلى المنطقة الثقافية، فالعالم حسبه مشكل من مجموعات ثقافية، تضم كل مجموعة عددا من الثقافات المتشابهة، وداخل كل منطقة مرك از تمثله ثقافة محورية تضم عددا من السمات المشتركة.

وفي نفس الاتجاه نجد **ألفريد لويس كروبر**)6931-6810م (صاحب مفهوم الانتشار الثقافي في مؤلفه "انتشار المثي ارت". و**زميله كلايد كلاكهو ن**)6806-6810م (صاحب "تصنيفات مفهوم الثقافة" هو وزميله **ألفرد لويس كروبر**)6931-6810م.

فجميع رواد هذا الاتجاه قد أدخلوا مفاهيم الدائرة الثقافية لمجال الأنثروبولوجيا وانتشار الثقافات عبر المحيطات. أما المدرسة التي جمعت بين المدرستين، فهي المدرسة الأمريكية والتي أكدت على نشأة الثقافة[2]

---

[1] بريتشارد إيفانز – **الإناسة المجتمعية – ديانة البدائيين في نظريات الأناسين** – ترجمة حسن قبيسي – دار الحداثة – بيروت – لبنان – ط1- 1986.ص66

[2] حمدان محمد زياد: **الثقافات الاجتماعية المعاصرة** – دار التربية الحديثة – عمان ، الأردن – 1998،ص 106.

Scanné avec CamScanner

من مركز جغرافي واحد، ولكنها شكلت مراكز متعددة وموازية لها، وأصبحت تتمتع بالقدرة على إنتاج أشكال ثقافية مختلفة تماما عن أصلها، بمعنى صرحوا بإمكانية ابتكار الثقافات الأخرى لسمات جديدة.)

ومن أهم روادها **فارنز أوري بواس** ***Franz Uri Boas***(2383-2111م). الذي تركزت فكرته الأساسية على أن الفهم المتكامل لجوانب الثقافة، يلزمه بالضرورة فهم أعمق لخصائص وسمات الشخصية الفردية من منظور سيكولوجي يرتبط بفهم وتفسير الصيغ الثقافية. فالثقافة هي الأساس في تشكيل شخصية الأف ارد، وأن الفرد يخضع كليا للثقافة. الأمر الذي دفع بالعديد من الأنثروبولوجيين إلى نقد هذا التوجه الذي يجعل الفرد عنص ار متأث ار لا مؤث ار، ومن بين هؤلاء الناقدين، **إدوارد سبير** ***Edward Sapir*** الذي أرى في هذا الأمر إقصا ءا للفرد وتعصبا فكريا.[1]

كما أكد **فارنز بواس** على مبدأ الحتمية في د ارسة الثقافات كأنساق متكونة من أج ازء متداخلة، لكونها تشكل ثقافة كلية. واستطاع بذلك أن يتحقق من أن العملية الانتشارية ليست نتاج أفعال أوتوماتيكية للاتصال الثقافي، فالأفراد يغيرون في معناها وفي شكلها عندما يصبحون جزءا من النمط الثقافي.

وسياقا على ذلك، يرفض **بواس** مبدأ اتساق التغير التطوري في كل المجتمعات، فالعناصر الثقافية هي كثيرة ومتشابهة وتوزع في مجتمعات مختلفة، وهذا التشابه هو بفعل الانتشار الثقافي. فحسبه أن معظم السمات الثقافية يمكن أن تتصف بالعالمية رغم عزلتها عن بعضها البعض، وأن لكل ثقافة خص وصيتها وسمات خاصة بها تتعلق بماضيها وحاضرها، فهي متميزة وفريدة في خصائصها.

وفي سنة 6897م، أثار كتابه "عقلية الإنسان البدائي *The Mind of Primitive Man*" ضجة كبيرة، حيث تم إح ارق نسخ الكتاب من طرف النازيين في الثلاثينيات، وإلغاء شهادة الدكتوراه التي نالها **بواس** من جامعة **كيل** بألمانيا. وبعدها ظهر كتابه " الفن البدائي *Primative Art* " في سنة 6893[2]م، وكتاب" اللغة الثقافية *Language and Culture*" في سنة 6820م. وهو التاريخ الذي

---

[1]. كوبان جان : المسح الإتنولوجي الميداني، ترجمة: لاوند جهيدة . معهد الدراسات الاستراتيجية بيروت لبنان 2007.ص 88

[2] دليو فضيل – المنهج البيوغرافي : استعمال السير الذاتية والحياتية في علم الاجتماع ضمن كتاب جماعي بعنوان: **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية** – منشورات جامعة منتوري – قسنطينة – .199،ص109.

Scanné avec CamScanner

اعتبره أغلب الباحثين بأنه تاريخ ظهور ونشأة الأنثروبولوجيا الثقافية، تماشيا مع إنجا ازت **بواس** في حقل الأنثروبولوجيا. لأن أفكاره هي بمثابة ثورة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وكرد فعل قاس للعنصرية والفروق الفيزيولوجية، فكل الأف ارد متساوو ن في كسب وإنتاج المعرفة، والتعاون هو نتيجة لعوامل تاريخية واجتماعية وثقافية.

ومن أهم الانتقادات الموجهة لهذه النظرية رغم أهميتها وقيمتها العلمية وشهرتها في الحقول النظرية المعرفية، إلا أنها أنقصت من الكيان الإنساني وجعلته مجرد مستقبل للمنتوجات الثقافية، دون التركيز على هذا الكائن البشري الذي بإمكانه الوصول إلى أوسع الصور الثقافية، فضلا عن تجاهلها للعوائق المادية والمعنوية التي تقف حاج از للانتشار.

- الاتجاه البنائي الوظيفي

ظهر الاتجاه البنائي الوظيفي لد ارسة الثقافات الإنسانية مع ظهور نظرية الانتشار الثقافي في كل من أمريكا وأوروبا كرد فعل عنيف إ ازء النزعة التطورية. فهو اتجاه متميز بالأبنية، لا تطوري ولا تاريخي. وفي أريهم أن العلم لا يهتم بتاريخ الظاهرة المبحوثة، وإنما يسعى إلى الكشف عن العلاقات بين الظواهر لتحقيق وظائفها. لذاك فالاتجاه الوظيفي يبحث عن كيفية حدوث التغير وأسبابه. وبالتالي فقد تحول التركيز من التطور والانتشار إلى الدور أو الوظيفة التي تؤديها العناصر الثقافية في علاقتها ببعضها البعض، مع الحفاظ على بقاء واستم ارر مكوناتها.[1]

ومن أهم رواده **مالينوفسكي، ارد كليف بارو ن**، وآخرون ممن درسوا البناء والوظيفة داخل نسق متكامل يعمل على تحقيق التوازن الاجتماعي.

إن الوظيفة كتيار أنثروبولوجي، ترتبط بدرجة كبيرة باسم **مالينوفسكي**، الذي يوضح بأن الثقافة هي بمثابة نسق متكامل ومتضامن العناصر، فهو يهتم بالوظائف والأدوار التي تقوم بها العناصر المكونة للنسق. لأجل ذلك فقد ركزّ اهتماماته البحثية في دور المؤسسات الاجتماعية وكيف تؤدي وظائفها من أجل ضمان بقاءها واستمرارها.

---

[1] مصباح عامر – علم الأنثروبولوجيا – دار الكتاب الحديث – القاهرة – 2010.ص88.

Scanné avec CamScanner

وتعتبر الاتجاهات الوظيفية تعبي ار عن استخدام المماثلة بين المجتمعات الإنسانية والكائنات البشرية، من خلال الأدوار المختلفة التي تؤديها العناصر المكونة للنسق الاجتماعي، وأن الغاية من وارء هذه الأدوار هو العمل على إشباع الحاجات المتنوعة والمت ازيدة للنسق في ظل التحولات والمتطلبات المتزايدة.

فالنظرية الوظيفية ترتكز على مصطلح الحاجة لتحقيق الاستق ارر والت وازن والابتعاد عن كل أشكال الص ارع الذي تعتبره هذه النظرية حالات مرضية. لذلك فإن غاية الوظيفيين من وارء إشباع حاجات النسق هي تحقيق المنفعة. فهم يرك زو ن على كل أنماط السلوك الإنساني من خلال فهم السمات والعناصر الثقافية ودورها في إشباع الحاجات الأساسية. وبتعبير أدق، فإن الوظيفة تبحث عن الارتباط المتداخل بين الظواهر الثقافية.

وتشير الوظيفية كنظرية في الأنثروبولوجيا، إلى قياس التمثيل العضو ي تماشيا مع فك رة أن الأنساق الاجتماعية ماهي إلا نوعا من الكائن الحي، تسهم بالضرورة في المحافظة عليه لضمان بقاءه واستم ارره في إطار مجموعة حاجات ووظائف أو أدوار. وهذا ما يقودنا للحديث عن الحاجات الاجتماعية عند **ارد كليف بارو ن**، والمرتبطة بإشباع الشروط البيولوجية، حتى يتجنب النسق المعاناة من عدم التكامل أو الإصابة بالخلل أو إحداث التغيير.[1]

ويشكل الجسم جملة من الأعضاء التي لا يمكن فهمها إلا من خلال نشاطها الوظيفي ودورها في الجسم الكل المركب، وهذا يعني الالتزام بالتشريح الاجتماعي في فهم مكونات الحضارة ورصد العلاقات الثقافية. وهذا ما يعرف بالأنثروبولوجيا الميدانية، أي د ارسة التركيب وبحث النشاط الوظيفي للعناصر المركبة. وهي أفضل طريقة عند الوظيفيين لفهم الإنسان والحضارة دون التعمق في التطور أو الانتشار، بل التركيز يكون موجها نحو د ارسة البنية في واقعها مثلما يدرس جسم الإنسان. إذ لا يمكن فهم وظيفة أي عضو إلا في ضوء علاقته بكل أعضاء الجسم، لأن النظام الاجتماعي والثقافي ما هو إلا عبارة عن بنية من العناصر ونسق من العلاقات الوظيفية. والميدان هو السبيل الوحيد لمعرفة تلك البنيات الوظيفية.[2]

---

[1] Austin: **Anthropologie linguistique**, Flammarion, 1976.p66.

[2] الشماس عيسى– **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ..2004ص98.

Scanné avec CamScanner

ومهما يكن من توفيق هذه النظرية في وضع الأنثروبولوجيا على متن البحث عن التنظير والمنهج العلمي، إلا أنها تعرضت كتوجه إنجليزي للعديد من الانتقادات الأوروبية، بسبب تهميشها للجانب التاريخي والتطوري من الحضارة وحتى الجانب النفسي، وحصرت فقط النشاط الإنساني والحضارة في مجمل التفاعلات والتركيبات داخل الجماعات الصغيرة المتيسرة للبحث الميداني، مما يصعب التوصل إلى قوانين تفسيرية عامة.

الأمر الذي انتبه إليه الوظيفيون لإعادة النظر في مفهوم الوظيفية والانفتاح أكثر والاهتمام بالمدخل التاريخي كما هو الحال عند **إيفانز برتشارد.**[1]

م Malinowski *Branislow*)6992-6829أ- مالينوفسكي

أنثروبولوجي إنجليزي من أصل بولوني، إسهاماته معارضة للفكر التطوري والانتشاري، فهو يتخذ موقفا مناهضا للتاريخ، الذي اعتبره افتارضيا أو تخمينيا لدى الاتجاه التطوري والانتشاري واللذان يفتقران للتأسيس العلمي والمصداقية اعتمد كثيرا على الملاحظة بالمشاركة، من خلال اندماجه الكلي مع المجتمعات موضوع الد ارسة والبحث، حيث تقاسم الحياة اليومية ملاحظا كل السلوكات والأفعال بنظرة دقيقة فاحصة لكل الممارسات الفعلية ومراقبا لكل التفاصيل الدقيقة. لهذا فقد كان مبدعا في تطبيق منهجية صارمة لفهم أدق القضايا.

إن تقنيته المنهجية للملاحظة بالمشاركة، قد ساعدته في الاحتلال الداخلي للمؤسسات الاجتماعية بكل أدق تفاصيلها، بعيدا عن الافت ارض أو التخمين. حيث توصل إلى أن لكل المؤسسات علاقة وظيفية اجتماعية تنطوي عل حاجات بيولوجية.

لقد مكّنته الملاحظة بالمشاركة من تعلم لغة السكان وأنماط معيشتهم، مما ساعده ذلك على التعمق في فهم ثقافتهم وتحليل مكوناتها والربط بينها. فكان يقضي معظم أوقاته في التأليف وكتابة المقالات عن تجاربه الميدانية وما توصل إليه من نتائج بالوصف والتحليل لمختلف الأحوال الاقتصادية وأشكال العلاقات الاجتماعية من نظم زواج وعلاقات قرابة.[2]

---

[1] Austin: **Anthropologie linguistique**, Flammarion, 1976.p105.

[2] لوكا فيليب وفاتان جون كلود - **جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية** -ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال الجزائر.ص 82.

Scanné avec CamScanner

ويؤكد **مالينوفسكي**، أنه لا يمكن الوصول إلى تحقيق فهم عميق ود ارسة دقيقة وشاملة لثقافة المجتمعات، ما لم يتم الاحتكاك والاتصال والمعاشرة اليومية للسكان موضوع البحث. كما يحرص على ضرورة الاندماج الكلي في حياتهم، لملاحظة كل النشاطات اليومية ومتابعة كل التفاصيل الدقيقة لسلوكاتهم وتصرفاتهم. لذلك فهو يوصي بضرورة تعلم لغة مجتمع الد ارسة، نظ ار للعلاقة الوثيقة بين اللغة والثقافة. فالباحث لا يقف م وقف المشاهد عن بعد، وإنما يلجأ إلى المشاركة الفعلية لكل العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والمناسبات المتعددة والتي تشكل جوه ار أساسيا في فهم مكونات العناصر الثقافية وكيفية تأدية أدوارها أو وظائفها، خاصة تلك المتعلقة بالمعاني الرمزية المتضمنة سلوكات مميزة ومحددة بكل مجال، وهذا لا يتم إلا من خلال الملاحظة بالمشا ركة.[1]

فهذا الحقل الميداني المخصص للفهم الدقيق لثقافة الشعوب، هدفه هو فهم نظم ومؤسسات المجتمع المراد د ارستها من طرف عالم الأنثروبولوجيا.

ويصل **مالينوفسكي** إلى تحديد معنى الثقافة في كل ما يحتويه المجتمع من عقائد ومبادئ وأدوات تشكل الجهاز الكلي للإنسان، الذي يجد نفسه مجبرا على التكيف معه وتحقيق حاجاته الضرورية للمحافظة على بقاءه واستمراره. فالحاجات الضرورية مثل، الأكل والشرب...إلخ، هي العناصر الثقافية الأساسية لكل مجتمع، والتي تختلف حسب الظروف الوظيفية. ويتمثل الدور الوظيفي لهذه الحاجات في ضمان استمرار المجتمع، وذلك بفضل الأدوار الوظيفية للعناصر الثقافية داخل النسق الاجتماعي. لأجل ذلك ترتبط الثقافة بكل جوانبها المادية والروحية بالاحتياجات الإنسانية.

وتأسيسا على ذلك، يعتقد **مالينوفسكي** أن الحاجات الفردية تقابلها استجابات حضارية كمؤسسات ذات وجود واقعي في المجتمع. فمثلا نجد التكاثر كحاجة فردية، يقابلها نظام الحماية كاستجابة حضارية، [2]الحاجة إلى الأمان يقابلها نظام الحماية كاستجابة حضارية....، وهكذا. كما أن المستلزمات التكنولوجية المنتجة مثل الأدوات والسلع، تقابلها هي الأخرى استجابات حضارية تتمثل في تشييد الحضارة للنظام الاقتصادي.

---

[1] Charles-Henri Favrod: L'Anthropologie, **Encyclopedie du monde actuel (E.D.M.A)**, coll, ..lior de poche, Paris-France, 1977.p101.

[2] النجيحي محمد لبيب: **الأسس الاجتماعية للتربية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرةط4 – 1971.ص 100.

Scanné avec CamScanner

م- Rad *Cliff Brown*)2332-2188 راد كليف بارون

تحصل بفضل شهرته الواسعة على عدد كبير من التكريمات الأكاديمية والمهنية، منها رئاسة المؤسسة الملكية للأنثروبولوجيا وجمعية الأنثروبولوجيين الاجتماعيين البريطانيين. ومنذ وفاة **مالينوفسكي** سنة 6829م، أصبح **راد كليف بارو ن** عميدا للأنثروبولوجيا البريطانية.[1]

ساعدت إسهاماته العلمية في بلورة وتدعيم الفكر البنائي وفي توجيه الإثنولوجيا نحو الد ارسات المتزامنة وكغيره من البنائيين الوظيفيين، فقد ابتعد عن التاريخ التخميني والتيا ارت التطورية، لذلك كان توجهه الرئيسي منصبا حول د ارسة المجتمع وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسي ار اجتماعيا بنائيا وظيفيا. وما ساعده في توسيع أفكاره، كتابات **إميل دور كايم** حول تطبيق الوظيفة على المجتمعات الإنسانية وأهمية المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية.

وعلى أساس هذه الأفكار، بنى **راد كليف بارو ن** تصوارته لكيفية تطبيق هذه المماثلة، حيث اعتقد بأن المجتمع يشمل تركيبا أو بنا ء اجتماعيا يتكون من أف ارد متماسكين بعلاقات اجتماعية مقررة، مقابلة مع الإنسان ذو التركيب المتكامل. فالحياة الاجتماعية للمجتمع هي المكون الرئيسي للبناء الاجتماعي.

شبّه **راد كليف بارو ن** الثقافة بالكائن الحي، فهي تتكون من ذلك الكل المركب من العادات والتقاليد والنظم والمعتقدات والخصائص والسمات، ولكل منها وظيفة يمارسها ويؤديها داخل الكل الثقافي. فالنظرة الوظيفية للثقافة هي بمثابة د ارسة تشريحية لثقافة قائمة على الموازنة والمقارنة بين مختلف الوظائف داخل النظم الثقافية.

---

[1] مصباح عامر – **علم الأنثروبولوجيا** – دار الكتاب الحديث – القاهرة – 2010.ص99.

6. - كيروزيل إديث : **عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو**، ترجمة جابر عصفور، قرطبة للنشر الدار البيضاء المغرب 2002.ص 89

Scanné avec CamScanner

لقد اهتم **راد كليف بارو ن** بمكانة ودور الثقافة والعناصر الثقافية داخل البناء الاجتماعي وتأثير ذلك على الاستقرار والتوازن الاجتماعي. فاستمرار البناء مرتبط بالأدواروالوظائف، وتقابله الثقافة كمسؤولة بصفة شاملة وبكلية متكاملة عن بقاء المجتمع[1].

وعليه، تنحصر أفكار **راد كليف بارون** بين طرحين علميين أساسيين، أحدهما التنظير **الدوركايمي**، والآخر إسهامات **مالينوفسكي**، مستخلصا مقوماته المنهجية المرتكزة على البناء الواقعي أو الفعلي. وقد أسس ذلك من خلال د ارساته الميدانية المعتمدة على الملاحظة العلمية الدقيقة والمشاهدة المباشرة لتفاصيل العلاقات الجزئية الواقعية.

إنّ منهجه قائم على استخدام الطرق الاستق ارئية بتطبيق المنهج التجريبي واكتشاف القوانين العامة التي تخضع لها الظواهر المدروسة. لذلك، فإن من أهم قواعد المنهج الأنثروبولوجي العلمي عنده، هو ملاحظة الوقائع ومشاهدتها بنا ء على فرضيات نظرية تفسرها. وارتكا از على هذا الفهم والتفسير، يتم استخدام المنهج المقارن في البحث العلمي بصفة عامة، والد ارسات الأنثروبولوجية بصفة خاصة.

وهنا يميز **راد كليف بارون** ويحدد الأنثروبولوجيا الاجتماعية في كونها تختص بد ارسة طبيعة المجتمع الإنساني، عن طريق المقارنة المنهجية لمختلف أشكال المجتمعات البشرية والاهتمام بالجوانب البسيطة للمجتمعات البدائية. وكغيره من البنائيين الوظيفيين، فهو يؤكد على التعايش المباشر للجماعات البشرية موضوع الد ارسة الإثنوغرافية، مع حتمية تعلم لغة الجماعة المبحوثة، لتحصيل دقيق للمعلومات المجمّعة، وذلك من خلال الاندماج والتكيف مع ذلك الكل المركب للعناصر الثقافية السائدة في أنماط معيشتهم.[2]

---

[1] مصباح عامر – **علم الانثروبولوجيا** – دار الكتاب الحديث – القاهرة – .2010 ص 109.

[2] الشماس عيسى– **مدخل الى علم الانسان (الأنثروبولوجيا)**- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق - 2004.ص 142.

7. - كيروزيل إديث : **عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو**. ترجمة جابر عصفور. فرطبة للنشر الدار البيضاء المغرب 2002.ص 168.

Scanné avec CamScanner

وتأسيسا على ذلك، فإن **ارد كليف بارو ن** حاول إب ارز أهمية الوظيفة كمنهج في فهم العناصر المركبة للكل المركب، اعتبا ار أن الوظيفة هي نتيجة للنشاط وتتضمن بالضرورة التركيب الاجتماعي من أجل المحافظة على بقاءه واستم ارره، ومن ثم المحافظة على التركيب الحضاري وبفكرة الوحدة الوظيفية.

17- مقومات التحليل الوظيفي في الأ نثروبولوجيا الاجتماعية عند راد كليف براون.

- **البناء الاجتماعي:** يتشكل البناء الاجتماعي من جملة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية الثقافية المحددة بالمكانة والدور، مثل البناء القرابي والذي حدده **ارد كليف بارو ن** في شكل العلاقات الثنائية التي تنشأ بفعل الروابط الق اربية، لذلك فهو يتجسد أكثر في العلاقات الاجتماعية الفعلية. وهذا ما أدى **بارد كليف بارو ن** إلى التمييز بين البناء الواقعي والصورة البنائية. فالبناء الواقعي هو كل ما يخضع للملاحظة المباشرة، ويتميز بالديناميكا والتغير والتجدد مثله مثل الكائنات الحية. بمعنى أنه من خلال العلاقات الاجتماعية، يدخل فيالمجتمع أعضاء جدد بالميلاد أو الهجرة، ويخرج آخرون بالموت أو الهجرة. ويضيف **راد كليف بارون** في هذه العلاقات الاجتماعية، حالات الطلاق والزواج.

وسياقا على ذلك، يمثل البناء الواقعي حلقة اجتماعية ضرورية في الد ارسات الأنثروبولوجية الاجتماعية، نظرا لمرونته وقابليته للتغير والتجدد. كما يستعمل البناء الاجتماعي للدلالة على عناصر التنظيم الاجتماعي ومجمل العلاقات التي يحتويها بكل تناسقها الداخلي وتناقضاتها ، وعليه فإن فهمنا للبناء الاجتماعي، لا يتحقق إلا بملاحظة العلاقات الاجتماعية التفاعلية التبادلية.[1]

وهنا يوضح **راد كليف بارون** أن الد ارسات والأبحاث لا يمكنها د ارسة البناء الاجتماعي إلاّ من خلال الأشخاص. فهو يميز بين الأشخاص والأفراد، في كون أن الشخص يحتل مركزا اجتماعيا يجعل منه قاعدة البناء الاجتماعي، وبالتالي فهو يستمر باستم ارر التنظيم الذي ينظم أدوار الأشخاص ويحدد

---

[1] . Alain Bajomée: **Elements d'anthropologie culturelle**, les éditions de Cétal, 2012p166.

8. - كيروزيل إديث : **عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو**. ترجمة جابر عصفور، قرطبة للنشر الدار البيضاء المغرب 2002.ص 99.

Scanné avec CamScanner

علاقاتهم ببعضهم البعض، أما الفرد في أريه فهو كائن عضوي بيولوجي يكون موضوعا للد ارسة فقط.

فالبناء الاجتماعي حسب **راد كليف بارون** يستمر بالرغم من وحداته، فهو يماثل تماما استمرار البناء العضوي، لأن الأفراد يتغيرون، لكن يستمر البناء التنظيمي بالرغم من تغير أفراده.

وعلى هذا الأساس، يعد مفهوم البناء الاجتماعي من المفاهيم الأساسية في الد ارسات الاجتماعية الحديثة عامة والد ارسات الأنثروبولوجية خاصة. حيث يعبر عن مجموعة العلاقات الاجتماعية المتباينة، والتي تتكامل من خلال الأدوار الاجتماعية.

واستنادا إلى ما سبق، فقد ركز **راد كليف بارون** بصفة خاصة والوظيفيون بصفة عامة على دراسة المجتمع واعتباره مجموعة أنساق اجتماعية تؤلف البناء الاجتماعي.

- **الوظيفية:** إذا نظرنا إلى المماثلة التي أقامها **راد كليف بارو ن** بين الوظيفية الاجتماعية للبناء الاجتماعي، وبين الوظيفة الفسيولوجية في البناء العضوي، نجد أن التصور الوظيفي للبناء الاجتماعي مستمدا من التيار العضوي في علم الاجتماع، والذي تأثر به **راد كليف بارون** من خلال ق ارءاته النظرية المتعددة لأفكار **هربرت سبنسر** و**إميل دو ركايم**. فالدور يتحدد في ظل المعنى الذي يعطيه الفاعلون الاجتماعيون داخل الأنساق الاجتماعية. وبالتالي يصبح النسق الاجتماعي متكاملا إذا تحقق التوازن في المكانة والدور والأهداف الشخصية المرغوبة وأهداف النسق. وبما أن النسق يتميز بجملة من القيم والمعايير، فهو يضمن من خلالها المحافظةعلى أنماط التفاعل ومنعها من الانح ارف عن حدود النسق. لذلك، فإن وظيفة التكامل ترتبط بوظيفة المحافظة ضمن المعايير ومدى امتثال أفراد النسق لهذه المعايير، علما بأن كل نسق اجتماعي يتكيف مع المحيط الخارجي.[1]

---

[1] النجيحي محمد لبيب: **الأسس الاجتماعية للتربية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، ط4 – 1971، ص25.

9. - كيروزيل إديث : **عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو**. ترجمة جابر عصفور. قرطبة للنشر الدار البيضاء المغرب 2002.ص166

Scanné avec CamScanner

- **الاتجاه النفسي:**

أساسه عقدة أوديب التي ابتدعها **فرويد** كنموذج نظري تاريخي، وكصفة موروث ة في الظواهر الإثنولوجية وتطور العلاقات البشرية داخل المجتمعات البدائية. فحياة الطفل المولود وتطورها اجتماعيا، كما حللها **فرويد**، هي حياة لا تختلف عن الحياة التي عاشتها المجتمعات الأولى من الأستراليين. ومن خلال هذه المماثلة، يمكن إسقاط ذلك على حياة الإثنيات البدائية بوصفها طفولة بشرية، وأن كل خصائص الحب والكره والمحرمات....إلخ، هي مفاهيم تجريدية لحياة ذات أصل غ ارئزي جنسي. وهي نفسها المفاهيم المفتاحية التي وظفها **فرويد** في تحليل السلوك الفردي، وقد أوضح من خلالها تأثير العلاقات الاجتماعية والثقافية، وفسّر أيضا الشعور الداخلي للنفس الإنسانية بالتعايش مع أنماط الحياة.

وقد توزعت الرؤى النفسية في د ارسة الثقافات الإنسانية في ثلاثة توجهات نظرية مميزة، فكانت كل من **مارغريت ميد** و**روث بندكت** أنصار التوجه الأول في هذا التحليل القائم على فكرة التضاريس الحضارية، بمعنى أن التنظيمات الاجتماعية متواجدة على شكل قوالب وأنماط ثقافية تعمل على تنميط الأفراد وتذويب شخصياتهم في المجموعة الإثنية. أما التوجه الثاني، فهو تابع لأنصار **فرويد** وتحليله النفسي، والذي رك ز من خلاله على إب ارز دور الفرد في المجموعات الإثنية والحضارية ضمن مفاهيم ومكونات الشخصية. وبالنسبة للتوجه الثالث، قد خصص لد ارسة الأفراد كحالات نفسية، ومن ثم تطبّق مختلف الروائز النفسية والاختبا ارت والقياسات النفسية.[1]

وبالرجوع إلى **روث بندكت** التي تعتبر من الأوائل الذين بلوروا على أساس د ارساتهم للأنثروبولوجيا الامبريقية المتباينة، الفكرة العامة التي مؤداها أن الثقافة هي بمثابة نسق متكامل من السمات السلوكية، أو هي عبارة عن سلوك مشترك يحوي أفكا ار موحدة ومستويات وقوانين لا شعورية للاختيار[2].

---

1. 10 كيروزيل إديث : **عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو**. ترجمة جابر عصفور. قرطبة للنشر الدار البيضاء المغرب 2002.ص 115

لوكا فيليب وفاتان جون كلود - **جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية** -ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال الجزائر.ص102.

Scanné avec CamScanner

وتنتمي **روث بندكت** إلى مدرسة الثقافة والشخصية، والتي يمثلها كل من **مارجريت ميد، رالف لينتون** وأتباعهم، وهي من أبرز المدارس وأشهرها في هذا الميدان. بحيث كانت اهتماماتهم الأساسية كعلماء للأنثروبولوجيا تنحصر بالدرجة الأولى في د ارسة الثقافات البدائية، مستخدمين المنهج المقار ن والجمع بين الأساليب الأنثروبولوجية والسيكولوجية في البحث، وذلك بتطبيق الملاحظة بالمشاركة والمقابلات الشخصية والاختبارات النفسية. ويدل عنوان كتاب **مارجريت ميد** حول التنشئة في غينيا الجديدة، على أهمية مجال الاتصال بين الثقافة والتنظيم العقلي للفرد وفقا للأساس التطوري والمقارن.

فطبيعة الفرد وم ازجه هما نتاج الشخصية، حيث تعمل الأنثروبولوجيا النفسية على فهم الكيفيات التي تجعل مثلا شخصية فرد ما مسالمة وأخرى عنيفة عدوانية. والقصد من هذا الطرح حسب رواد هذا الاتجاه، هو التمييز بين المضمون الثقافي والمضمون السيكولوجي. حيث توصلت **بندكت** إلى نتيجة مفادها أن الثقافة والشخصية هما جانبين إثنين لنفس الحقيقة الواحدة. وهكذا يتمثل إسهامها الأساسي في البرهنة أنه من خلال التمثلات الثقافية، ينتج كل مجتمع نموذجا متمي از من الشخصية. بمعنى، أن رواد هذا الاتجاه يركزون على نموذج التنظيم العقلي المتوافق والمكيف مع المتطلبات الوظيفية والبنائية.

وكما سبق في التحليل **الفرويدي**، فإن إسقاطاته غير مبررة علميا لما لاحظه في مجتمعات الحضارة الغربية، إضافة إلى أن الاختبا ارت النفسية المعتمدة في التحليلات النفسية للمجموعات الحضارية البدائية أو الشبه بدائية، كانت مشبعة بالثقافة والنمط المعيشي، مما يقلل من موضوعيتها وحيادها كأداة للقياس. فمنهج **رورشاخ** مثلا وأدواته التي طبقت على الجماعات البدائية، لا يمكن فصلها عن الثقافة والحضارة الغربية المعاصرة.[2]

إن الحاجة التي استشعرتها الأنثروبولوجيا إلى علم النفس، قد أدت إلى لفت انتباه الأنثروبولوجيا للاستعانة بعلم النفس من أجل فهم الظواهر الثقافية بصفة خاصة. وينحصر ذلك في اتجاه قديم يرتبط بالإثنولوجيا ارتباطا قويا في كتابات عدد كبير من علماء القرن 90م، ممن كانوا يطبقو ن الاستبطان في محاولاتهم معرفة أصل الثقافة البدائية ونشأتها، وبخاصة الدين والشعوذة والسحر والأساطير.

---

[1] Abraham franis: **Modern Sociological theory**, Oxford University Press-Delhi.p105

[2] الشماس عيسى– **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – 2004،ص 92.

Scanné avec CamScanner

وقد ظهر هذا الاتجاه إلى حد ما في كتابات **مالينوفسكي** الذي كان يرى بأن الدين ينشأ في أوقات الأزمات التي تمتاز بتوتر وشدة الانفعالات مثل حالة الوفاة. لذلك فقد استخلص عددا كبيرا من الأنثروبولوجيين الثقافيين المحدثين، أن أية نظرية متماسكة ومتكاملة عن الثقافة، بالضرورة تبحث في علاقة الثقافة بطبيعة الإنسان البيولوجية النفسية.

ومن هذا الطرح، يذهب **روبيرلوي *R. Lowie*** الذي يعارض فكرة الفصل بين الناحيتين التاريخيةوالسيكولوجية في د ارسة الثقافة، إلى القول في مسألة الدين، بأنه لا يمكن اعتبار الظواهر الدينية ظواهرسيكولوجية خاصة أو ثقافية بحتة، وأن فهمها بوضوح يتطلب الاستعانة بعلم النفس والتأويلات التاريخية على السواء.[1]

ولقد ظهر في أمريكا اتجاه يقوم على الاعتقاد بأن حقائق الثقافة هي حقائق سيكولوجية تاريخية أو سيكو-ثقافية، ويظهر ذلك بوضوح في أعمال كل من **بيدني *Bidney*** و**جولدنفايزر *Goldenweiser*.**

وبازدياد الاهتمام بين علماء الانثروبولوجيا للنواحي السيكولوجية في الثقافة، ظهر اتجاه لد ارسة الشخصية في علاقتها بالثقافة، عن طريق تحليل العلاقة بين الثقافة والفرد أو د ارسة أثر الثقافة في تكوين الشخصية، وعلى الرغم من حداثة هذا الاتجاه الجديد، إلا أنه فرض نفسه بقوة في ميدان الد ارسات الاجتماعية والأنثروبولوجية ووجد له أنصا ار مميزين في أمريكا. حيث يصرح كل من **أوغبر ن *Ogburn*** و**نيمكوف *Numkoff*** أن الأنثروبولوجيا ظلت لسنوات طويلة تهتم بالتنظيم الصوري للثقافات المختلفة دون الاهتمام بالطريقة التي تؤثر بها الثقافة في الشخصية. وظل بذلك علماء النفس يركزون جهودهم على د ارسة السلوك في معامل مخصصة لهذا الغرض، دون البحث في التأثي ارت البيئية ذات الأهمية البالغة في ذلك. ولكن سر عان ما اكتشف الأنثروبولوجيو ن الشخصية، كما اكتشف

---

[1] النجيحي محمد لبيب: **الأسس الاجتماعية للتربية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ،ط4 ، 1971،ص126.

- ABELÈS M., ***Anthropologie et marxisme,*** Paris, Éditions Complexe, PUF1976,p85,-

Scanné avec CamScanner

علماء النفس الثقافة، حينئذ تعاون كل من علم النفس والأنثروبولوجيا باهتمام كبير في د ارسة مشكلة العلاقات المتبادلة بين العوامل الثقافية والعوامل السيكولوجية.

- ملخص عن نظريات التبادل الاجتماعي في علم الإ نسان (ا لأنثروبولوجيا)

كتب **جيمس فريزر** عن عادات الزواج والنظام القرابي في المجتمعات البدائية، حيث أوضح في إحدى دراساته ظاهرة نظام الزواج بين أبناء العم، وقد استخدم التفسير الاقتصادي القائم على المنفعة في توضيح هذا النوع من الزواج. فعند الزواج لا يتطلب من الفرد أن يكون مالكا لثروة مالية أو مادية، بل يشترط أن يكون لديه أخوات أو بنات لكي يستطيع أن يتزوج بواسطتهن، حيث لا يستطيع أن يحصل على زوجة ما لم يقدم إمرأة من أخواته أو بديلا لها إلى عائلتها.[1]

فالمبادلة النسوية تحل محل الملكية الفردية في نظام الزواج الذي يتطلب تبادل إم أرة بإم أرة. واستنتج **جيمس فريزر** أن الم أرة تتمتع بقيمة اقتصادية وتجارية عالية، وأن الرجل الذي لديه عدة أخوات أو بنات يكون ثريا، والعكس فقدانه لهن يجعله فقي ار ولا تتاح له فرصة الزواج. ولذلك فالفرصة تكون متاحة أكثر للشيخ الرجل المسن، لكونه لديه ف رص عملية تبادل النساء، فهو ثري ولكن ليس بالمقياس المادي. وفي المقابل، يكون الشاب أقل حظا في الزواج، فهو يبقى أعزب لفترة طويلة من الزمن، وفي هذه الحالة يقوم رئيس القبيلة بمساعدتهفي تقديم إحدى بناته أو أخوات له كزوجة من باب المساعدة.

وما يستخلص من هذه المبادلة النسوية، هي نتيجة لانعدام عامل الملكية لدى الأفراد، لذلك تكون المرأة كتعويض عن الملكية وإشباع حاجة اجتماعية لتكوين خلية اجتماعية داخل المجتمع. وبذلك أصبحت هذه المبادلة نظاما اجتماعيا وأحد مكونات البناء الاجتماعي في المجتمع، خاصة وأن تبادل النساء من أجل الزواج بين الأقارب يؤدي إلى المحافظة على نفوذ وقوة العائلة أو القبيلة، من المبادلة النسوية إلى التبادل الرمزي القائم على تبادل العلاقات الاجتماعية، من خلال تبادل سلع بسيطة فيما بينهم، مثلا مجموعة تقدم سلعة بسيطة معينة ومجموعة ثانية تبادلها سلعة أخرى بسيطة، وهذا ما يساعد على بناء علاقات اجتماعية متينة بين أعضاء الجماعات. فالتبادل السلعي البسيط هو من أجل إقامة علاقات

---

1 الشماس عيسى– مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – 2004.ص103.

Scanné avec CamScanner

اجتماعية وطيدة، مع خلو هذا التبادل من المنفعة الاقتصادية أو المادية، فالهدف البعيد من وارء هذا التبادل هو دوام واستم اررية العلاقات الاجتماعية.[1]

وقد اختص في دراسة التبادل الرمزي **مالينوفسكي**، والذي استهدف من وارء دراساته عن التبادل الرمزي، التمييز بين السلع الاقتصادية والرموز الاجتماعية، لأن عملية التبادل هذه تقوم على العامل الاجتماعي والنفسي وليس الاقتصادي، لكن ليس معنى ذلك التقليل من أهمية وقيمة السلع المادية، فهدف التبادل الرمزي هو تحقيق التماسك والتكامل الاجتماعي داخل المجتمع. ومن ثم، فإن **مالينوفسكي** استهدف بدارساته، تحرير نظرية التبادل الاجتماعي من تأثي ارت المنفعة الاقتصادية، وإظهار عامل التضامن والتكامل الاجتماعي.[2]

وقد واصل في هذا المجال **مارسيل موس** بالبحث عن المبادئ الأولية والقاعدة الأساسية لاستلام الهدية وإعادتها مرة ثانية. بمعنى ما هي الأسس التي تقوم عليها عملية تبادل الهدايا في المجتمع البدائي؟ وما هي القوى التي تلزم الفرد على تقديم هدية مقابل أخرى؟

وفي ضوء تساؤلاته هذه، توصل **موس** إلى أن الآداب الاجتماعية تمثل قوة إل ازمية في المجتمع، وتمارس على الأفارد لإعطاء أو إعادة هدية مماثلة، لا سيما وأن هذه الآداب العامة غير عقدية أو مكتوبة، بل متعارف عليها فقط بين أفراد المجتمع، وممارستها والالتزام بها، يعني المحافظة على بناء المجتمع.[3]

---

[1] . Austin: **Anthropologie linguistique**, Flammarion, 1976p106.

[2] كيروزيل إديث : **عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو**، ترجمة جابر عصفور، قرطبة للنشر الدار البيضاء المغرب 2002.ص 88

-لوكا فيليب وفاتان جون كلود - **جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية** -ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال الجزائر.ص122.

-ADDI, L., **Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu**. Le paradigme anthropologique kabyle et ses conséquences théoriques, Paris, La Découverte, 2002.p67

Scanné avec CamScanner

وفي نفس هذا السياق التبادلي، حلل **ليفي ستروس** نظام الزواج من الأقارب وبين أبناء العم. حيث أن الرجل يبادل أخته او ابنته لكي يتزوج، فهذه الطريقة هي أرخص الطرق للحصول على زوجة، لا سيما في غياب العوامل المادية أو الوثائق المكتوبة، لأنه كما سبق، فإن عامل المنفعة الاقتصادية غير موجود في هذه العمليات التبادلية. وعلى اعتبار أن **ليفي ستروس** يرفض تشبيه السلوك الإنساني بالحيواني، فهو يؤكد بخضوع هذه العملية لقيم وأع ارف المجتمع وإرثه الحضار ي، وهذا غير متوفر في المجتمع الحيواني. فضلا عن أن السلوك الإنساني لا يشبه الحيواني، من حيث أن الإنسان قاد ار على تعلم تسيير النظم والمؤسسات وكيفية التصرف في التبادل الإنساني. وهذا يعزز حصيلة مؤث ارت العوامل الاجتماعية الصادرة عن مكونات التبادلالاجتماعي من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية.

ويؤكد **ليفي ستروس** على عامل الكلفة الاجتماعية دون الكلفة الاقتصادية، لأن الأولى (الكلفة الاجتماعية) تعني الالتزام بالآداب الاجتماعية العامة والقيم والأعراف وليس مجرد حصيلة إشباع الحاجات النفسية. ونظام الزواج والنظام القرابي في نظره، يخضعان لهذه المؤثرات الاجتماعية وليس لعوامل اقتصادية أو نفسية، فضلا عن أن دوافع الفرد لا تؤثر بقدر ما تؤثر مكونات البناء الاجتماعي على عملية التبادل الاجتماعي بين الأفراد، والتي يتم خلالها التفاعل الاجتماعي المؤدي بالضرورة الى تحقيق التضامن والتكامل الاجتماعي.[1]

وبالرجوع إلى أصل وبدايات السلوك التبادلي، فهي ترجع إلى **بيتر بلاو**، الذي يعتبر أن دافع سلوك الفرد الرئيسي في تفاعله وعلاقاته هو التبادل المعنوي أو المادي، والذي يمر حسبه عبر أربعة م ارحل متسلسلة، وتتمثل هذه الم ارحل في التعامل اليومي بين الأفراد في الحياة الاجتماعية، مما يزيد من بروز اختلاف مكانات الأف ارد ونفوذها، والذي يكشف عن تسلسلها المنتظم ومشروعيتها التي تقوم بزرع بذور الاختلاف والتغير الاجتماعي. ومن خلال هذه المراحل يتحدد سلوك التبادل كما وضعه **بلاو** كالآتي:

- يدخل الفرد في نشاط اجتماعي معين، متوقعا الحصول على مكافأة منه.
- كلما ازدادت قيمة المكافأة، ازداد النشاط المقابل لها بدرجة أكبر مما سبق.
- كلما قلت قيمة المكافأة، نقص ميل الفرد لممارسة نشاط اجتماعي جديد.

---

[1] . Alain Bajomée: **Elements d'anthropologie culturelle**, les éditions de Cétal, 2012.p85.

Scanné avec CamScanner

- إذا حصل الفرد على منفعة في تفاعله مع الأخر، أوجبه ذلك إرجاع هذه الفائدة للأخر كدين في ذمته، لأنه التزام أدبي أخلاقي.
- يوطد الالتزام المتبادل بين فردين علاقتهما المشتركة برباط موحد.
- إذا حصل انحرافا تبادليا بين فردين، فإن ذلك يولد موقفا سلبيا من قبل الطرف الذي لم ترد إليه مكافأته، وهذا يعد اخت ارقا لمعايير التبادل.[1]

خاتمة

لقد تبين من خلال عرض هذا المحتوى العلمي المتضمن موضوع الأنثروبولوجيا، أن هذا التخصص العلمي عمل على تحديد القوانين العامة لحياة الإنسان في المجتمعات البدائية والحديثة والمعاصرة، وبالتالي اختلفت موضوعاته باختلاف وتنوع وتعدد المدارس والاتجاهات وفي عالمنا المعاصر هذا، فقد أصبحت الحاجة ملحة لتكثيف هذه المادة العلمية، وإث ارئها في العملية التكوينية داخل جامعاتنا ومعاهدنا، خاصة بعد ما أن تبين للمفكرين مدى أهمية وقيمة وفائدة الإلمام بهذا العلم كتمهيد لعدد من العلوم الإنسانية والاجتماعية. لأن الأنثروبولوجيا هي بمثابة المدخل الواسع والعميق لد ارسة الإنسان وتمايز المجتمعات عبر الحقبات الزمنية.[2]

لقد ساعدت الأنثروبولوجيا على تدفق الأفكار وانبثاق حياة جديدة منظمة وثرية بصيغ ومعاني وقيم ومعايير ووسائل وتنظيمات أكثر تطويعا لإ اردة الإنسان واستجابة لحاجاته وأهدافه. بحيث استطاع

---

[1] .11 .كيروزيل إديث : عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو، ترجمة جابر عصفور، قرطبة للنشر الدار البيضاء المغرب 2002.ص 109

[2] Bajomée: **Elements d'anthropologie culturelle**, les éditions de Cétal, 2012.p96.

- كيروزيل إديث : عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو، ترجمة جابر عصفور، قرطبة للنشر الدار البيضاء المغرب 2002.ص 88

Scanné avec CamScanner

تجاوز الكثير من العقبات لضمان بقاءه، وتمكن بذلك من إشباع رغباته بما يليق ووجوده كإنسان متميز عن باقي الموجودات.

لقد مكنتنا الأنثروبولوجيا من التعرف على الت ارث الإنساني على مر العصور من خلال سلوكياته وأنماط تفاعلاته اليومية عبر مختلف المجتمعات، والتي تطلبت معايشة الباحث للجماعات البشرية والاندماج في حياتهم اليومية. وما اهتمام العلماء بد ارسة أسلوب حياة المجتمعات ود ارسة اللهجات الخاصة بالشعوب كان من أجل استنتاج التوقعات الخاصة بالتغي ارت المحتملة للبشر في الظواهر الإنسانية والحضارية، ومن ثم التنبؤ بمستقبل الحياة البشرية.

قائمة المر اجع:

أ - **الكتب :**

1.احمد الشوكي، **علم الحفائر الأثرية**، كلية الآداب جامعة عين الشمس القاهرة2003

2.أبو طالب محمد نجيب - **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لبنان - 2002.

3.إيركسون توماس هايلاند ونيلسون فين سيفرت – **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية** – ترجمة لاهاي حسين – منشورات ضفاف، العراق – والاختلاف، الجزائر – ط 1 - 2013.

4.بريتشارد إيفانز – **الإناسة المجتمعية – ديانة البدائيين في نظريات الأناسين** – ترجمة حسن قبيسي – دار الحداثة – بيروت – لبنان – ط1- 1986.

5.توينبي آرنولد : **تاريخ البشرية** ، ترجمة زيادة نيكولا ، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت لبنان 1981.

6.جعفر عبد الوهاب– **البنيوية في الأنثروبولو جيا وموقف سارتر منها**- دار المعارف – الاسكندرية – 1980.

7.الجوهري محمد وآخرون – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية – قضايا الموضوع والمنهج** – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 2004.

Scanné avec CamScanner

8.حمدان محمد زياد: **الثقافات الاجتماعية المعاصرة** – دار التربية الحديثة – عمان ، الأردن - 1989.-

9.خروف حميد و جصاص الربيع – **علم اجتماع الثقافة** – منشورات جامعة منتوريقسنطينة - 2003.

10.الخوري فؤاد إسحاق - **مذاهب الأنثروبولوجيا وعبقرية ابن خلدون** - دار الساقي - بيروت - لبنان - 1992.

11.دليو فضيل – المنهج البيوغرافي : استعمال السير الذاتية والحياتية في علم الاجتماع ضمن كتاب جماعي بعنوان: **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية** – منشورات جامعة منتوري – قسنطينة – 1999.

12 . روبرت سيلفر برق، ترجمة: محمد الشحات، **الآثار الغارقة**، بيروت، مؤسسة سجل العرب القاهرة 1965

13.الساعاتي سامية حسن – **الثقافة والشخصية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشربيروت – لبنان – ط2- 1983.

14.سرحان محمد المرسي: **في اجتماعيات التربية** – دار النهضة العربية للطباعة و النشربيروت ، لبنان – ط3 – 1981.

15.ستراوس كلود ليفي : **الإناسة البنيانية** ، ترجمة قبسي حسن، نشر المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب 1995.

16. السويدي محمد – **مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحاته** – المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر – ط1 – 1991.

17.الشماس عيسى– **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق - 2004.

18.عمر مصطفى – إشكالية المنهج في الأنثروبولوجيا – ضمن كتاب جماعي بعنوان: **قضايا العلوم الانسانية، إشكالية المنهج** – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – دون سنة نشر.

19.عاصم محمد رزق، علم الاثار بين النظرية والتطبيق، مكتبة مدبولي 1996.

Scanné avec CamScanner

20 .كوبان جان : **المسح الإثنولوجي الميداني**، ترجمة: لاوند جهيدة ، معهد الدراسات الاستراتيجية بيروت لبنان 2007.

21. كيروزيل إديث : **عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو**، ترجمة جابر عصفور، قرطبة للنشر الدار البيضاء المغرب 2002.

22.عيد بدر يحي مرسي– **أصول علم الإنسان – الأنثر وبولوجيا** –ج1- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – ط1 -2007.

23.فهيم حسين – **قصة الأنثروبولوجيا**، فصول في تاريخ علم الإنسان – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت- عدد98 فبراير 1986.

24.كعباش رابح – **الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع** – مخبر علم اجتماع الاتصالجامعة قسنطينة – الجزائر – 2007.

25. لبيب الطاهر – **سوسيولوجيا الثقافة** – دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية – سورياط3- 1987.

26.لكلرك جيرار - **الأنثروبولوجيا والاستعمار** - ترجمة جورج كتورة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان - ط2-1990.

27.لوكا فيليب وفاتان جون كلود - **جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية** -ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال الجزائر.

28. لومبار جاك – **مدخل إلى الإثنولوجيا** – ترجمة حسن قبيسي – المركز الثقافي العربيالدار البيضاء – المغرب – ط1- 1997.

29.لوي روبرت – **تاريخ الإثنولوجيا** – من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية – ترجمة نظير جاهل – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر -والتوزيع - - بيروت- ط2- 2007.

30.ليفي ستروس كلود – **الأ نثروبولوجيا البنيوية** – ترجمة مصطفى صالح – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق – ج1- 1977.

31.محجوب محمد عبده – **الاتجاة السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع** – وكالة المطبوعات – الكويت – دون سنة نشر.

Scanné avec CamScanner

32.مصباح عامر – **علم الأنثروبولوجيا** – دار الكتاب الحديث – القاهرة – 2010.

33.مؤنس حسين – **الحضارة** – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت – عدد1- 1978.

34.النجيحي محمد لبيب: **الأسس الاجتماعية للتربية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرةط4 – 1971.

35. وصفي عاطف – **الأنثروبولوجيا الثقافية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشربيروت – لبنان – 1971.

36.وصفي عاطف – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشربيروت - لبنان – دون سنة نشر.

37.وقيدي محمد، **العلوم الإنسانية والأيديولوجيا**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 2011.

ب- المجلات:

1.مها كيال – "السيرة الحياتية منهجية وتقنيات بحثية "- مجلة الثقافة الشعبية - الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر – البحرين –عدد29- ربيع 2015.

ج- القواميس والموسوعات:

1. سميت شارلوت سيمور – **موسوعة علم الإنسان : المصطلحات والمفاهيم الأساسية** – ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري- المركز القومي للترجمة – القاهرة – ط2- 2009.

2. شاكر سليم – **قاموس الأنثروبولوجيا (أنجليزي ، عربي)** – جامعة الكويت- ط1-1981 .

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1-ABELÈS M., **Anthropologie et marxisme**, Paris, Éditions Complexe, PUF, 1976.

Scanné avec CamScanner

2-ADDI, L., **Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu**. Le paradigme anthropologique kabyle et ses conséquences théoriques, Paris, La Découverte, 2002.

3-André Akoun et Pierre Ansart: **Dictionnaire de sociologie**, Coll ; Dixionnaire de Robert, édition Seuil, Paris-France, 1989.

4-. Charles-Henri Favrod: L'Anthropologie, **Encyclopedie du monde actuel (E.D.M.A)**, coll, lior de poche, Paris-France, 1977.

5. Gerald Gaillard: **Dictionnaire des éthnologues et d'anthropologues**, ed Armand, ParisFrance, 1997.

6. Jaques Dumont et Jean- Baptiste Beranian: **L'anthropologie, les dictionnaires Marabout université**, Paris-France, 1972.

7-. Pierre Tripier et al: **Dictionnaire des sciences humaines-Anthropologie/Sociologie-**, Nathan, 1994, p56.

8-. Sills,D.L et Merton,R.R: **Internationnal Encyclopedia of the Social Sciences**.Vol.19,The macmillan Publishing co,.n.y, London.

9-. Woolgar, Steve: **Technology, Social Science Encyclopedia**, 2nd ed, Routledge, London, 1996.

10-. Abraham franis: **Modern Sociological theory**, Oxford University Press-Delhi.

11-. Alain Bajomée: **Elements d'anthropologie culturelle**, les éditions de Cétal, 2012.

12-. Austin: **Anthropologie linguistique**, Flammarion, 1976

13-. Beattie.J: **Other Cultures (Aims, methods and Achivements in social Anthropology)**, Afree Press Paperbach- macmillan Publishing.co.inc, U.S.A, 1968.

Scanné avec CamScanner

13-. Claude Rivière: **Introduction à L'anthropologie**, hachette, Paris-France.

14. Francois Laplantine: **L'anthropologie**, édition Seghers, Petite bibliothèque payot, ParisFrance, 2007.

15-. François Loplantine: **L' anthropologie**, éditions payot et Rivages, Paris-France, 1995.

16-. George Balandier: **Political Anthropology**, Peuguin Books, Middlesex-England, 1970.

17-. Kendall, Diana: **Sociology in our Times**, Wadsworth Publishing- co, London,1996.

18-. Kilani Mondher: **Introduction à L'Anthropologie**, édition Payot Lusanne, Paris- France, 1996.

19-. Ralph Linton: **Le fondement culturel de la personnalité**, Bordas, Paris-France,1973.

20-. Robert Deliège: **Histoire de l'anthropologie**, (Ecoles, Auteurs, Théorie), éditions du seuil, Paris-France, 2006.

21-. Robert Greswell: **Elements d'ethnologie**, Armond colin, Paris-France, 1975.

22-. Turner, Janathan: **The structure of sociological theory**, the dorcy press, homeword.

23-. Alan Howard: Internationnal Psychology, **American Anthropologist**, Vol 84, N_{1-2}, U.S

Scanné avec CamScanner